الإعجاز

جائزة نوبل للقرآن الكريم

علمية – دينية – فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

العدد العشرون – السنة الخامسة – كانون الثاني/يناير ٢٠١٢م – صفر ١٤٣٣هـ

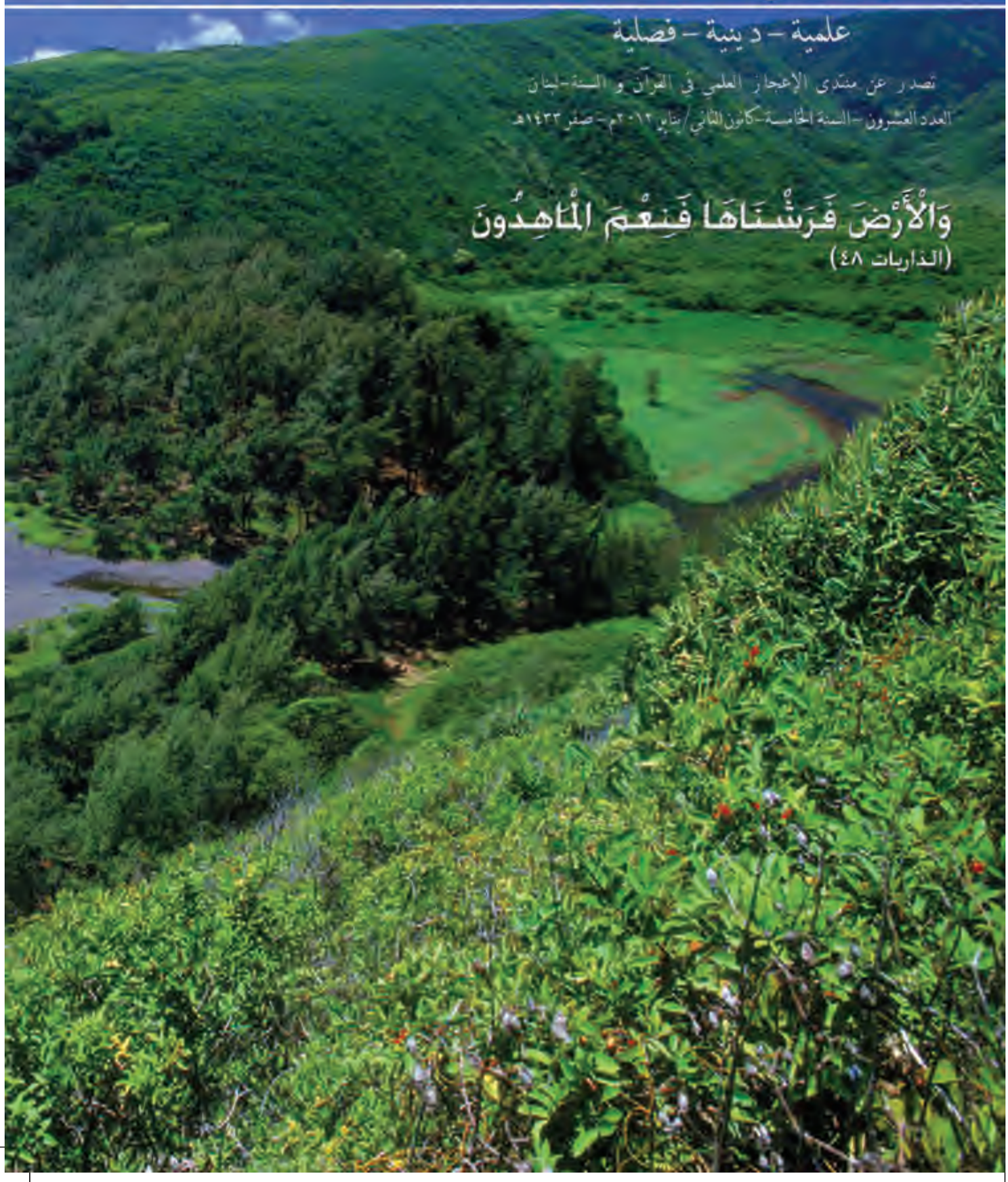

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ

(الذاريات ٤٨)

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ

لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان
العدد العشرون - السنة الخامسة - شتاء ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

جمعية علم وخبر ٢٧٩/اد/٢٠٠٥/تعديل ٥٤/اد/٢٠٠٧

الفهرس

إفتتاحية أحبوا العرب	أ.صلاح سلام	ص ٤
جائزة نوبل للقرآن الكريم	رئيس التحرير	ص ٥
خلق الأرض	د. منصور العبادي	ص ٦
قصة الأرض	أ.د. محمد علي عبد المقصود	ص ١٢
حركة الأرض بينة على التوحيد	د. محمد دودح	ص ٢٠
اختلاط الماء بالأرض الهامدة	د. قطب عامر فرغلي	ص ٢٣
﴿والأرض فرشناها﴾	أ. محمد إسماعيل عتوك	ص ٢٦
إعجاز علمي في حديث الوزغ	أ. أحمد عبد الجواد	ص ٢٨
الإعجاز العلمي في حديث «بيت لا تمر فيه»	د.«معزالإسلام» فارس	ص ٣١
الرحمن علم القرآن	أ.باسم وحيد الدين علي	ص ٤٠
الكلمة المفتاح	ع.د.محمد فرشوخ	ص ٤٢

رئيس التحرير: العميد الدكتور محمد فرشوخ
العلاقات العامة: الأستاذ أحمد مختار الزاملي
الاشراف الفقهي واللغوي: القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس والمدير المسؤول: العميد الدكتور محمد فرشوخ
نائب الرئيس: د. نادر الغزال
أمين السر: الأستاذ بهيج مومنة
أمين الصندوق: الأستاذ باسم علي
المحاسب: الأستاذ زهير الجندي
مستشار: الأستاذ صلاح سلام
مستشار: النقيب د. غسان رعد
مستشار: د. خالد حسين

الاخراج والطباعة مطابع اللواء
يوزع هذا العدد مجانا
صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء،
وبموازرة علمية من الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن والسنة.
للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة، بنك عودة رقم الحساب:
87807446100206201

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

أحبوا العرب

هو بين التمني والنداء أن أحبوا العرب، إلى كل صاحب عقل وفطنة، أو قلب ورحمة، أو مصلحة ومنفعة؛ إلى العربٍ قاطبة، مسلمين ومسيحيين، والى العجم سنة وشيعة، والى كل من لجأ إلى هذه الأرض الطيبة واستوطن بها قديماً وحديثاً، هرباً من الظلم والاضطهاد» إلى كل من ينطق بلغة الضاد سواء كان من العرب أم من سواهم على اختلاف الملة والمعتقد و المنهج والسلوك، نقول أحبوا العرب.

أحبوا العرب والعربية، لا عن عنصرية ولا عصبية، بل بتبصر وعقلانية، لا ترددوا كلام المستشرقين الذين لا يزالون يجترونه منذ ثلاثة قرون، العرب أنوف معقوفة، وبشرة سمراء، وترف وشهوة، وغلظة وقسوة. لا وفاء ولا شهامة ولا عهد ولا كرامة، إقرأوا للمفكر الراحل إدوارد سعيد، كشف سر من أجبرهم على التزوير ونقض فكرهم وفضح زيغهم. طمسوا بالقصص والأفلام تاريخاً ناصع البياض ومآثر وبطولات، واختراعات وإنجازات، مهدت لما يتنعمون به اليوم من تقدم في العلم وترف في المعيشة. فاقرأوا تاريخ العرب الحقيقي تعشقونهم وتفخرون بالإنتساب لهم.

يا مسلمين أحبوا العرب، ففي حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم: «أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي». وحذار من النفاق، فكيف ندعي الإسلام ونفضل على الأمة العربية غيرها، وكيف نتنصل من عروبتنا ونحاول الانتساب إلى أمم أخرى، أقل ما يقال فيها أنها تكره العرب وتعمل على تفريقهم. أين الكرامة فيمن يتخلى عن اللغة العربية ويباهي بضعفه فيها، ويجاهر بلغة أخرى، أليس في ذلك ضعف في الشخصية وعقدة نقص تجاه الغير؟

يا مسيحيي العرب، يا شركاء الأرض والتاريخ واللغة والمصير..، يا من عشتم في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية لقرون، وفي مصر التي تغير الحكم فيها وتبدل مراراً وبقيتم وبقيت كنيستكم القديمة أبدا، لم يسجل التاريخ لكم ومنكم إلا وداعة ومحبة ومساهمة وتسامحاً. أما أزماتكم، فقد كانت بسبب الفرنج أو بسبب صراع المذاهب بينكم، أكثر مما كانت بسبب الاختلاف مع شركائكم المسلمين، ولم تكن أقسى من الأزمات والمصائب التي حلت بالمسلمين خلال مشواركم الطويل المشترك.

من يقرأ تاريخ الحروب الصليبية بتجرد يجد أن الصراع كان ضد الفرنج الأوروبيين ، ولم يكن ضد مسيحيي الشرق، ويأخذ المستشرقون على صلاح الدين أنه حين استرد القدس جعل وثائق مملكتها وكنيستي المهد والقيامة في عهدة بطاركة الشرق، ولم يدنس كنيسة ولم يهدم صومعة، والرجل لم يثأر ولم يرتكب في القدس مذبحة كما فعل الفرنج من قبل حين غلبوا المسلمين عليها. لا يمكن لمؤرخ نزيه أن ينكر الحياة الآمنة التي عاشها اليهود في الأندلس في جوار المسلمين حتى خروجهم معاً في القرن الخامس عشر، ولم يمكثوا يوماً واحداً بعد ذلك، بل نزحوا مع العرب وحلّوا حيثما حلّوا، في شمالي أفريقيا حتى مصر، وفي فلسطين وسوريا ولبنان حتى آسية الصغرى.

رحى الإسلام أوسع من أرض العرب، فلا نخلط بين الدين وبين السياسة، والعرب مسلمين ونصارى تجمعهم أرضهم ولغتهم والتاريخ والمصير الواحد، فلا مفر لواحدهم من الآخر.

لا يجدر النفاق بعربي مهما كان دينه ومذهبه أن يتظاهر بالعروبة حين يقوى العرب، ثم ينتفض ويتآمر عليهم ويتحالف مع غيرهم عند ضعفهم ولدى تكالب الأمم عليهم. لن يحترمه أحد ولن يثق به أحد ولن يحبه أحد. كيف يجمع النقيضين أن يحب بلاده ويكره العرب، وإلى من فقد شعوره القومي وانتماءه الجغرافي وتراثه الضارب في عمق التاريخ؟ أليس من المعيب أن يحتاج هو وربعه إلى العمل في البلاد العربية ثم ينتقد عرب الجزيرة وعرب مصر وشمالي أفريقيا؟

لا نريد أن نستكبر على غيرنا من الشعوب لكننا، كعرب، لا نقبل بأن يحتقرنا غيرنا وهو بحاجة الينا، لينظر أهل البصيرة من حولهم، كيف تعصف الأزمات بكبريات الدول والأمم، وكيف يتهافتون لنيل رضا العرب، فيا أهل المصالح والمنافع، حبا الله بلاد العرب بثروات لا تنضب وقيم اخلاقية يضرب بها المثل، فالمستقبل للعرب، ولو كره الكارهون.

إن لم يكن أنقى لقلوبكم.. فلمصلحتكم: أحبوا العرب.

كلمة العدد

جائزة نوبل في الفيزياء للقرآن الكريم

نوبل للفيزياء لـ٣ علماء اكتشفوا تسارع التمدد الكوني

في مطلع شهر تشرين الأول/أكتوبر المنصرم، أعلنت لجنة نوبل للفيزياء بالأكاديمية السويدية الملكية للعلوم إن ثلاثة علماء فازوا بجائزة نوبل في الفيزياء لعام 2011 لاكتشافهم المذهل لتسارع التمدد الكوني.

وحصل الأميركي سول بيرلماتر على نصف الجائزة البالغة قيمتها عشرة ملايين كرون سويدي (5.1 مليون دولار)، في حين حصل على النصف الآخر فريق ثان قام بنفس العمل يضم بريان شميت الأميركي المقيم في استراليا والعالم الأميركي آدم ريس.

وقالت لجنة نوبل في بيان ان «هذا الكشف تحقق من خلال مراقبة نجوم بعيدة تنفجر وبدلا من ان يزداد بريق النجوم كان نورها يخفت.

تعليق مجلة الإعجاز:

يأتي هذا الاكتشاف العلمي الهام بعد أن أنبأ به القرآن الكريم قبل 1400 سنة من اليوم، وقد ورد في سورة الذاريات الآية 47 بالنص الحرفي التالي: ﴿*وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ*﴾. وتعني أن السماء بنيت بقوة، وأن الله تعالى يوسع فضاءها باستمرار.

وحقيقة القول أن القرآن الكريم وهو كلام الله المنزل على قلب نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا يحتاج إلى تزكية من أحد ولا لجائزة من أحد، إنما هي وقفة جديدة مع الاكتشافات العلمية المؤكدة المثبتة بالدلائل والآلات والأرقام، لتذكر الناس بأن أحداً من الخلق لم يكن باستطاعته رصد السماء قبل 1400 سنة لا بعين ولا بآلة، ليخرج بهذا الاستنتاج العلمي الخطير. وليوقن الناس في أيامنا هذه بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى وان ما فيه من حقائق علمية إنما وردت لتؤكد على صحة بقية ما جاء في هذا الكتاب الكريم، ليس فقط من أخبار الأمم السالفة وإنما من أخبار ما قد يأتي ومن حقيقة البعث والقيامة والعرض والحساب والجنة ونعيمها والنار وعذاباتها.

إنها آية جديدة ظهرت اليوم في الآفاق، سبقها قول الله تعالى في سورة فصِّلت: ﴿*سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*﴾.

رئيس التحرير

خلق الأرض

الدكتور منصور العبادي*

أجمعت الكتب السماوية السابقة على أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وجاء القرآن الكريم فأكد هذه الحقيقة في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿*الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثمّ استوى على العرش ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكّرون*﴾ [السجدة 4]. ولكن القرآن الكريم لم يكتف بذكر هذه الحقيقة الكونية بل جاء بحقائق إضافية عن تفصيل هذه الأيام وكذلك عن الحال الذي كان عليه الكون عند بداية خلقه والحال التي سيؤول إليها. ومن أهم الحقائق التي تفرد بذكرها القرآن دون غيره من الكتب السماوية هي حقيقة أن السموات والأرض قد خلقهما الله في يومين اثنين ولم يستغرق خلقها ستة أيام كما جاء في قوله تعالى ﴿*قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك ربّ العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ [فصلت 12-9].

إنطلق الكون من نقطة مادية غاية في الصغر

وكما هو واضح من هذه الآية المليئة بالحقائق المتعلقة بالأحداث التي مر بها خلق الكون، فإن الله قد خلق الأرض في يومين وكذلك خلق السموات في يومين، بينما تنص آيات أخرى كثيرة على أن مجموع أيام خلق السموات والأرض هي ستة أيام.

هذه الآية وغيرها من الأيات القرآنية المتعلقة بالحقائق الكونية يمكن تفسيرها فقط على ضوء الحقائق العلمية المكتشفة. وسنشرح في ما يلي بعض الحقائق العلمية الأساسية التي اكتشفها العلماء المعاصرون للكيفية التي تم بها خلق هذا الكون والمراحل التي مر بها حتى أصبح على هذه الهيئة ثم نقوم بتفسير الآية القرآنية الآنفة الذكر على ضوء هذا الشرح.

وفق النظريات العلمية الحديثة نشأ هذا الكون نتيجة لانفجار كوني عظيم انبثقت منه جميع مادة هذا الكون، حيث كان الكون عند ساعة الصفر على شكل نقطة مادية غاية في الصغر لها درجة حرارة وكثافة غاية في الكبر وقد أطلق العلماء على هذا الانفجار اسم «الانفجار العظيم». ولا يعرف العلماء على وجه التحديد ماهية المادة الأولية التي انبثق منها هذا الكون ولا من أين جاءت، ولماذا اختارت هذا الوقت بالتحديد لكي تنفجر ولا يعرفون كذلك أيّ شيء عن حالة الكون قبل الانفجار وصدق الله العظيم القائل ﴿*ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا*﴾ [الكهف51].

ويغلب على ظن العلماء أن مادة الكون كانت عند بداية الانفجار مادة صرفة ذات طبيعة واحدة وتحكمها قوة طبيعية واحدة. لقد بدأت هذه المادة المجهولة الهوية بالتمدد بشكل رهيب وبسرعات غاية في الكبر نتيجة لهذا الانفجار لتملأ الفضاء من حولها هذا إذا كان هناك ثمة فضاء، حيث يعتقد بعض العلماء أن المكان والزمان قد ظهرا مع ظهور هذا الانفجار. لقد كان الكون الأولي على شكل كرة نارية متجانسة تملؤها سحابة من المادة الصرفة، وظلت هذه الكرة تتمدد وتتسع بصورة مذهلة إلى أن وصلت درجة حرارتها إلى ثلاثة آلاف درجة بعد مرور ما يقرب من مائة ألف سنة. وعند درجة الحرارة هذه بدأت الجسيمات

الأولية البسيطة كالكواركات واللبتونات والفوتونات بالتشكل من هذه المادة الصرفة (...).

وقبل أن نكمل المراحل الأخرى لنشوء الكون نتوقف قليلاً لكي نقارن الحقائق المذكورة في الآية القرآنية مع ما توصل إليه العلماء. فقد ذكرت الآية القرآنية التي هي عنوان هذا الباب أن الكون كان على شكل مادة دخانية في مرحلة نشوئه الأولى وذلك في قوله تعالى ﴿***ثم استوى إلى السماء وهي دخان***﴾. والمقصود بالسماء في هذه الآية هو الفضاء الذي امتلأ بالدخان الناتج عن الانفجار الكوني العظيم، وليست السماء التي ستتكون من هذا الدخان لاحقًا فلم يكن ثمة سماء قبل ذلك. وقد أطلق العلماء على هذه السحابة من الجسيمات الأولية اسم الغبار الكوني بينما سماها القرآن الدخان والتسمية القرآنية أدق من تسمية العلماء فالجسيمات الأولية أصغر من أن تكون غباراً وحتى دخانًا ولكن الدخان هو أصغر وأخف شيء يمكن أن تراه أعين البشر. ولا بد هنا من أن نسأل الذين لا يؤمنون بالله أو الذين لا يصدقون بأن هذا القرآن منزل من عند الله السؤال التالي وهو من أين جاء هذا النبي الأمي الذي عاش في أمة أمية بهذه الحقيقة الكبرى عن حال الكون عند بداية خلقه والتي ظلت مجهولة إلى أن كشفها الله على أيدي خلقه في هذا الزمان فقط. إن هذه الحقيقة العلمية لم تذكرها الكتب المقدسة التي سبقت القرآن ممّا يؤكد على صدق هذا القرآن وصدق من أنزل عليه وأنه منزل من لدن عليم خبير مطلع على جميع أسرار هذا الكون وكيف لا وهو خالقه ﴿***ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير***﴾ [الملك 14].

ولقد أشار القران الكريم بشكل واضح في ثلاث آيات قرآنية إلى حقيقة الانفجار الكوني العظيم، وإلى حقيقة التوسع الكوني وكذلك إلى حقيقة انهيار هذا الكون في النهاية. فقد أشار القرآن الكريم إلى أن السموات وما تحويه من أجرام كانت كتلة واحدة ثم تفتقت جميع مادة هذا الكون من هذه الكتلة التي ملأت الكون بمادة دخانية وذلك مصداقًا لقوله تعالى ﴿***أولم يرى الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون***﴾ [الأنبياء 30]. (...).

لها درجة حرارة وكثافة غاية في الكبر

أما المرحلة الثانية من مراحل خلق الكون فهي مرحلة تكون المجرات والنجوم من هذا الدخان الذي أصبح يتكون من البروتونات والنيوترونات والإلكترونات والفوتونات. فبعد أن برد الكون المتمدد إلى ما دون ثلاثة آلاف درجة كلفن بدأت الإلكترونات بالارتباط بالبروتونات نتيجة لتأثير القوة الكهرومغناطيسية مشكلة بذلك ذرات الهيدروجين والتي تتكون من بروتون واحد وإلكترون واحد. ومع اتحاد البروتونات مع الإلكترونات أصبحت جميع مكونات الكون متعادلة كهربائيًا معطية المجال لقوة الجاذبية لكي تقوم بدورها في بناء أجرام هذا الكون رغم ضعفها الشديد مقارنة مع قوى الطبيعة الأخرى. لقد بقي الكون حتى هذه اللحظة متجانسًا أيّ أن المادة الدخانية المكونة من ذرات الهيدروجين والنيوترونات موزعة على جميع أنحاء الكون بالتساوي وبنفس الكثافة. ولكن في لحظة ما بدأت كثافة مادة الكون بالاختلال لسبب لم يجد العلماء له تفسيراً قاطعاً وتكونت نتيجة لهذا الاختلال مراكز جذب موزعة في جميع أنحاء الكون وبدأت قوة الجاذبية تلعب دورها في غياب تأثير القوة الكهرومغناطيسية وذلك من خلال جذب مزيد من الهيدروجين المحيط بهذه المراكز إليها منشئة بذلك كتل ضخمة من الهيدروجين.

ثم كرة نارية انفتقت وتوزعت

وعندما وصل حجم هذه الكتل الهيدروجينية إلى حجم معين ونتيجة للضغط الهائل على الهيدروجين الموجود في مراكز هذه الكتل ارتفعت درجة حرارته إلى الحد الذي بدأت فيه عملية الاندماج النووي بين ذرات الهيدروجين

منتجة ذرات الهيليوم بالإضافة إلى كميات كبيرة من الطاقة فتكونت بذلك النجوم(...)، والنجوم التي هي بحجم شمسنا لا يمكنها أن تحرق إلا الهيدروجين في باطنها وذلك بسبب صغر حجمها النسبي وبالتالي قلة درجة حرارة جوفها ولذلك فهي لا تصنع إلا عنصر الهيليوم في داخلها. ولكي يمكن تصنيع عناصر أثقل من الهيليوم قدّر الله وجود نجوم أكبر حجما وأعلى درجة حرارة من الشمس وبداخل مثل هذه النجوم العملاقة بدأت عمليات اندماج نووية أكثر تعقيدا بين ذرات الهيليوم منتجة بذلك ذرات عناصر الليثيوم والكربون والنيتروجين والأكسجين وانتهاء بالعناصر الثقيلة كالحديد والرصاص واليورانيوم وبقية العناصر الطبيعية التي يزيد عددها عن مائة عنصر.

لا تنتج الشمس إلا الهيليوم

وكما أن الاختلال الذي حصل في كثافة مادة الكون قد أدى إلى تكون النجوم بشكل منتظم في أرجاء الكون فإن اختلال آخر قد حصل في كثافة هذه النجوم بحيث أن النجوم المتجاورة بدأت بالانجذاب نحو مراكز ثقلها وبدأت بالدوران حول هذه المراكز مكونة المجرات. وممّا أثار دهشة العلماء أيضًا هذا التوزيع المنتظم للمجرات في مختلف أرجاء الكون والذي لم يكن ليحدث إلا إذا حدثت جميع هذه الاختلالات في نفس الوقت وبنفس الكثافة في كل مكان في هذا الكون. وكما أن هنالك تفاوتًا في أحجام النجوم فقد وجد العلماء أن المجرات تتفاوت في أشكالها وأحجامها حيث يبلغ متوسط عدد النجوم في المجرة الواحدة مائة بليون نجم من مختلف الأشكال والأحجام. ويقدّر علماء عدد المجرات في ما يسمى بالكون المشاهد بما يزيد عن ألف بليون مجرة.

إن كل ما نشاهده من مجرات ونجوم وكواكب إنّما هي موجودة في الفراغ الذي تحيط به السماء الدنيا وهي أقرب السموات السبع إلينا أيّ أن ما في السماء الدنيا أو الأولى

بدأت الجسيمات الأولية البسيطة تتكون عندما تدنت حرارة الكون

من أجرام هي ما يسميه العلماء الكون المشاهد وربما أن ما يشاهده العلماء من خلال مراصدهم ما هو إلا جزء صغير من هذه السماء الدنيا وصدق الله العظيم القائل ﴿*وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ [فصلت 12].

وتمكن علماء الفيزياء من وضع نظرية جديدة معدلة لنظرية «الانفجار العظيم» أطلق عليها اسم نظرية «الكون المنتفخ» وذلك بسبب فشل النظرية الأولى في تفسير بعض الظواهر الفيزيائية في لحظات الانفجار الأولى إلا أنهما تتفقان في تفسير الأحداث الكونية فيما بعد ذلك. فعندما قام العلماء بإعادة حل المعادلات الفيزيائية التي حكمت تفاعلات مادة وقوى الكون في اللحظات الأولى لنشوئه وبالتحديد في الثانية الأولى اكتشفوا حقائق عجيبة تدعم الصورة التي رسمتها الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم عن تركيب هذا الكون. وملخص هذه النظرية أنه في خلال الثانية الأولى من الانفجار العظيم ونتيجة لحدوث ظاهرة فيزيائية غريبة يطلق عليها اسم التأثير النفقي بدأ الكون بالتمدد بمعدلات أكبر بكثير من المعدلات التي نصت عليها نظرية الانفجار العظيم. وقد نتج عن هذا التمدد المفاجئ للكون في لحظاته الأولى ظهور عدة مناطق مادية على شكل فقاعات متلاحقة يفصل بينها حواجز قوية وشكلت كل فقاعة من هذه الفقاعات كونًا خاصًا بها. وتؤكد النظرية بالنص على أن هذا الكون العظيم المترامي الأطراف الذي نشاهده أو ما يسمى بالكون المشاهد لا يشكل إلا جزءاً يسيراً من هذه الأكوان التي لم تستطع النظرية تحديد عددها.

وهذا بالضبط ما قد أجمعت عليه جميع الكتب السماوية من وجود أكوان أخرى غير الكون الذي نراه بأعيننا أو تصل إليه مراصدنا وقد أطلقت الكتب السماوية على هذه

الأكوان اسم السموات السبع كما جاء ذلك في قوله تعالى ﴿*فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم*﴾. ولقد كشف القرآن الكريم في آيات أخرى عن بعض الخصائص المتعلقة بطبيعة هذه السموات فذكر أولاً أنها على شكل طبقات حيث تطبق كل سماء على السماء التي دونها ولا يكون ذلك إلا إذا كانت هذه السموات على شكل كرات مجوفة كل واحدة تحيط بالأخرى بحيث يكون مركز هذه الكرات هو المكان الذي حدث فيه الانفجار الكوني العظيم مصداقا لقوله تعالى ﴿*الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور*﴾ [الملك 3].

ولقد أتى القرآن الكريم أيضًا على ذكر أجرام قد خلقها الله في هذا الكون وهي أكبر من السموات السبع وما فيهن ككرسي الرحمن الذي يحوي في داخله هذه السموات السبع مصداقًا لقوله تعالى ﴿*وسع كرسيه السموات والأرض*﴾ [البقرة 255]. إن حجم هذا الكرسي وما يحويه من السموات السبع لا تكاد تذكر مع حجم العرش الذي استوى عليه الرحمن سبحانه وتعالى فقال عز من قائل ﴿*قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم*﴾ [المؤمنون 86] والقائل سبحانه ﴿*الله لا إله إلّا هو ربّ العرش العظيم*﴾ [النمل 26].(...).

أما المرحلة الثالثة من مراحل تكون هذا الكون، فهي مرحلة تكون الكواكب وخاصة كواكب المجموعة الشمسية وبالذات كوكب الأرض الذي تفرد بظهور الكائنات الحية على سطحه. ولم يجمع العلماء على رأي واحد حول الكيفية التي تكونت بها الكواكب حول نجومها أو الأقمار حول كواكبها بل تم طرح عدة نظريات لتفسير طريقة تكون الكواكب حول النجوم. إن أشهر هذه النظريات تلك التي

إستقطبت الأرض شهب وحطام نجوم أخرى

تقول أن المواد الخام المكونة لكواكب المجموعة الشمسية قد جاءت من خارج هذه المجموعة وتستند هذه النظرية إلى حقيقة مهمة وهي أن عدد وكمية العناصر الطبيعية الموجودة في الكواكب وخاصة الأرض لا يمكن للشمس أن تنتجها. ويرجح العلماء فكرة أن مادة الكواكب قد جاءت نتيجة انفجار عدد كبير من النجوم الضخمة بعد نضوب وقودها من الهيدروجين وغيرها من العناصر الخفيفة وتحولها إلى العناصر الطبيعية المختلفة. وقد وقعت المواد المتطايرة من هذه النجوم في أسر جاذبية الشمس فأخذت تدور حولها مكونة الكواكب المختلفة وذلك نتيجة لقوى الجذب بين المواد المتطايرة الغنية بمختلف العناصر الطبيعية.

مواد أولية كثيرة اخترقت السطح السائل للأرض

وقد كانت الأرض عند بداية تكونها كرة ملتهبة من العناصر المختلفة نتيجة التصادمات العنيفة بينها وبين الشهب التي تقع عليها من هذا الحطام المتناثر ومع تضاؤل كمية هذا الحطام وتوزعه على كواكب المجموعة الشمسية بدأت الكميات التي تقع منه على الأرض تقل بشكل تدريجي. وبدأ سطح الكرة الأرضية يبرد شيئًا فشيئًا نتيجة الإشعاع الحراري للفضاء الخارجي ولكن لا زال باطنها يغلي ويفور بالمواد المنصهرة والتي كانت الأرض تقذف بها على شكل براكين رهيبة إلى خارج سطحها. ولكن سطح الأرض شبه السائل لم يكن ليقوى على حمل الكتل الضخمة من المواد المنبعثة من هذه البراكين حيث سرعان ما تغوص إلى داخل الأرض. ولكن مع تواصل الإشعاع الحراري من سطح الأرض الملتهب بدأ سطحها يبرد شيئًا فشيئًا إلى أن بدأ بالتجمد مكونًا قشرة صلبة ولكنها رقيقة نسبيًا ولكن سمك هذه القشرة بدأ بالازدياد مع مرور الزمن إلى أن وصل لعدة عشرات من الكيلومترات في الوقت الراهن. وبمقارنة هذا السمك مع نصف قطر الأرض البالغ ستة آلاف وأربعمائة كيلومتر نجد أن هذه القشرة في غاية الرقة

ولولا أن الله قد ثبتها بالجبال المغروسة في وشاح الأرض شبه السائل كالأوتاد لكانت دائمة الانزلاق وصدق الله العظيم القائل ﴿ *وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم* ﴾ [لقمان 10].

وعلى ضوء هذه الحقائق العلمية يمكن لنا الآن أن نفهم ما المقصود باليومين الذين خلق الله فيهما الأرض كما جاء في قوله تعالى ﴿ *قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين* ﴾. فالمدة الزمنية التي مرت على الأرض منذ أن كانت في حالة الدخان إلى أن أخذت موقعها في مدار ثابت حول الشمس على شكل كرة ملساء ذات سطح شبه سائل تمثل اليومين اللذين خلق الله فيهما هذه الأرض الأولية. ولقد حدد الله علامة بارزة لنهاية يومي خلق الأرض الأولية وبداية الأيام الأربعة التي أكمل الله فيها تجهيز الأرض لتكون صالحة لظهور الحياة عليها وهذه العلامة هي بداية تكون الجبال. فلقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن أول الأحداث في الأيام الأربعة التالية من أيام الخلق الستة هو تشكل الجبال فوق سطحها مصداقًا لقوله تعالى ﴿ *وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين* ﴾. ومن الطبيعي أن تكون الجبال أول ما ظهر على سطح الأرض، وبالتالي أول أحداث تهيئة الأرض فالأرض كانت قبل ذلك كما ذكرنا سابقًا كرة ملساء، وسطحها حار جداً وشبه سائل وهي تغلي وتفور بسبب الحرارة الشديدة التي في باطنها. واستمرت الأرض على هذا الحال إلى أن بدأت القشرة الأرضية الصلبة بالتكون بعد أن برد سطحها نتيجة لإشعاع حرارتها إلى الفضاء الخارجي. وعندما أصبح سمك القشرة الأرضية بالقدر الكافي بدأت المواد التي تقذف بها البراكين من جوف الأرض بالتراكم فوقه ليبدأ بذلك تكون الجبال. ولا زال مشهد تكون الجبال من البراكين قائمًا إلى يومنا هذا ولكن بمعدل لا يكاد يذكر مع الحال الذي كانت عليه الأرض في بداية تكونها.

حساب عمر الأرض إنطلاقاً من حساب عمر الجبال

وكما هو واضح من هذه الآية فإن عملية تجهيز الأرض بعد أن استقرت في مدارها حول الشمس لتكون صالحة لظهور الحياة عليها استغرق أربعة أيام من أيام الله وهي من مثل الأيام التي خلق الله بها السموات والأرض بشكلها الأولي. وفي هذه الأيام الأربعة تكونت الجبال والقارات والمحيطات والبحيرات والأنهار وتشكل الغلاف الجوي الذي بدأ بحماية الأرض من بقايا الشهب التي كانت ترشق الأرض من الفضاء الخارجي. وبعد أن وفر الله كل أسباب الحياة على هذه الأرض بدأت الحياة الأولية بالظهور عليها، ومن ثم خلق الله النباتات والحيوانات، ومن ثم خلق الله الإنسان في آخر ساعة من ساعات اليوم السادس من أيام الخلق كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة. إن توفر جميع الشروط اللازمة لظهور الحياة على هذه الأرض من الكثرة والتعقيد بحيث أن خللاً بسيطاً في أحد هذه الشروط قادر على إنهاء جميع أشكال الحياة على هذه الأرض كما سنبين تفصيل ذلك في باب قوله تعالى ﴿ *وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام* ﴾ (...).

أما القرآن الكريم فقد حدد المدة الكاملة التي خلق الله بها السموات والأرض بستة أيام من أيامه سبحانه، وحدد كذلك المدة التي خلق الله بها السموات والأرض الأولية بيومين والمدة التي هيأ بها الأرض بأربعة أيام. وكما ذكرنا فيما سبق أن أيام الله كما أكد على ذلك القرآن الكريم ليست كأيام البشر فالله لا يحده زمان ولا مكان ويقدّر زمن الأحداث والوقائع بما شاء من مقادير فقد يكون طول بعض أيامه ألف سنة من أيامنا التي نعدها كما في قوله تعالى ﴿ *وإنّ يوما عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون* ﴾ [الحج 47]. وقد يكون طول بعض أيامه خمسين ألف سنة كما في قوله تعالى ﴿ *تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة* ﴾ [المعارج 4]. وقد يكون طول بعضها ملايين أو ربما بلايين السنين كما هو الحال مع طول الأيام التي خلق الله بها هذا الكون. ومن الجدير بالذكر أن القرآن

الكريم هو أول من تحدث عن نسبية الزمان والمكان فإذا كانت مدة الخمسين ألف سنة يراها البشر زمنًا طويلاً، فإنها عند الله زمن قصير، وعندما يسأل الله البشر يوم القيامة عن مدة مكثهم في الأرض يكون جوابهم أنه يوم أو بعض يوم وذلك بعد أن يتحرر البشر من أسر أطر المكان والزمان التي كانوا يعيشون فيها على الأرض كما جاء ذلك في قوله تعالى ﴿***قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادّين قال إن لبثتم إلّا قليلا لو أنّكم كنتم تعلمون***﴾ [المؤمنون 113-112]. (...).

ويمكننا الآن أن نستعين بالمعلومات الواردة في الآية القرآنية المتعلقة بخلق الكون وبعض التقديرات الدقيقة لبعض الأحداث التي مر بها الكون للحصول على رقم تقريبي لعمر هذا الكون. فقد حددت هذه الآية أن الجبال قد بدأت بالتكون في بداية الأيام الأربعة الأخيرة من أيام الخلق الستة ولو تمكنا من معرفة عمر أقدم جبال الأرض تكونًا فمن السهل علينا حساب عمر الكون وهذا على افتراض أننا نعيش في اللحظات الأخيرة من أيام الخلق الستة كما أكدت على ذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. (...). إن أكثر الطرق دقة في تحديد أعمار الجبال هي تلك التي تعتمد على التحلل الإشعاعي لبعض العناصر المشعة كاليورانيوم والثوريوم والبوتاسيوم فمن خلال قياس نسبة الرصاص إلى اليورانيوم في عينة مأخوذة من جبل ما وبمعرفة العمر النصفي لليورانيوم يمكن تحديد عمر هذه العينة وبالتالي زمن تكون هذا الجبل. لقد وجد العلماء أن عمر أقدم جبال الأرض والموجود في الدرع الكندي يبلغ أربعة بلايين سنة تقريبا. وبما أن هذه المدة تساوي أربعة أيام من أيام الخلق الستة فإن طول كل يوم من أيام الخلق سيكون بليون سنة تقريبًا وعليه فإن عمر الكون سيكون ستة بلايين سنة، وهذا على افتراض أن عمر أقدم الجبال صحيحًا. ولكن يبقى علم هذا الأمر عند عالم الغيب والشهادة خالق السموات والأرض القائل سبحانه ﴿***وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين***﴾ [الأنعام 59] وقوله سبحانه ﴿***إليه يردّ علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلّا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا ءاذنّاك ما منّا من شهيد***﴾ [فصلت 47].

---

* الأستاذ الدكتور منصور إبراهيم أبو شريعة العبادي. قسم الهندسة الكهربائية–جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.quran-m.com

« الإعجاز» دينية علمية غير سياسية

- تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
- لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
- ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف. اشترك مجانًا في مجلة الإعجاز تصل إلى عنوانك.

قصة الأرض

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾

أ.د. محمد علي عبد المقصود[1]

مقدمة: (...)

المفردات اللغوية:

المهد: الفراش والسرير والأرض السهلة المستوية، والمهاد: الفراش والأرض المنخفضة المستوية، وتمهد أي تسهل وتوطأ.

عجز الإنسان أمام حجم الأرض:

حجم الأرض بالنسبة لحجم الإنسان كبير جداً، فقطرها يقارب13000 كيلو متراً، ومحيطها (عند خط الاستواء) يقارب 38000 كم، فإذا صغرنا الأرض لتصير كحجم الإنسان، وصغرنا الإنسان بنفس القدر... ولكي نفهم هذا المعنى تخيل أنك أنت الأرض، فكيف يكون الإنسان بالنسبة لك إن حجمه يكون 12. 4 ميللميكرون، أي أنه لا يرى حتى بأعظم المجاهر، إن هذه المقارنة الحجمية تكشف لنا عن ضعف الإنسان وعجزه عن هذا العمل المعجز، وهو فرش الأرض، وتبين لنا معنى عظيماً، فقوله تعالى: ﴿ *وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ* ﴾ [الذاريات: 48]، فالهاء تعود على الواحد القاهر، ولا يقدر على ذلك إلا خالقها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ *وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا* ﴾ [النساء: 28]... فإذا كان فرش الأرض قد أعجزنا، فكيف بالسماوات ومن بناها. إن (الهاء) هنا في (فرشناها) تشعرنا بالعجز، وتحول بيننا وبين ما فوق ذلك من آيات، فنغض البصر ونمشي عليها بحياء، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ *ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ* ﴾ [الملك: 4]،

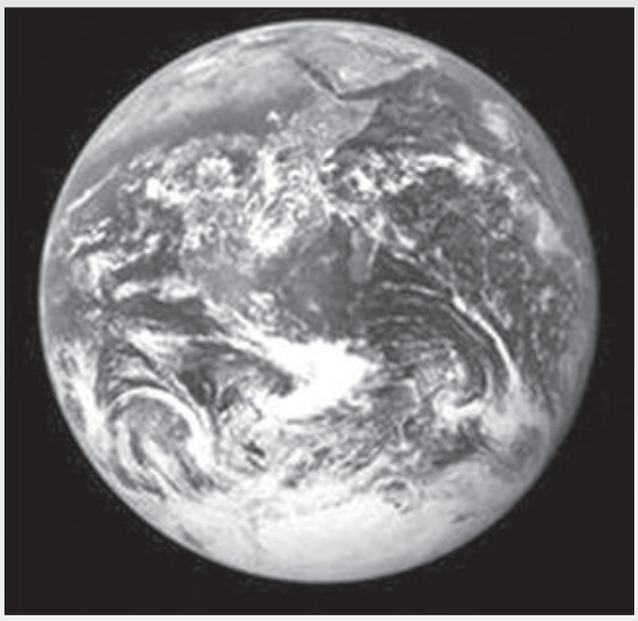

صورة للأرض من الفضاء الخارجي

فالهاء تشعرنا نحن الجيولوجيين بإعجاز مكاني.

زمان الإنسان وزمان الأرض:

إن الله جلت قدرته جعل لكل مخلوق عمراً يتناسب مع ما خلقه له، فمن المخلوقات كجسيمات الذرة لا يتعدى عمرها لحظات، ومن الحشرات ما يعيش شهراً، ومن الحيوانات ما يعيش أعواماً، ومن الزواحف ما يصل عمره إلى عدة مئات من السنين... فدورة الحياة تختلف باختلاف المخلوق، أما الإنسان فمتوسط عمره بضع عشرات من السنين، وفي الحديث النبوي الشريف: (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين)، والأرض مخلوق بلغ من العمر حتى يومنا هذا (4500)

عمر الأرض ٤٥٠٠ مليون سنة
وعمر أول يابسة ٨٠٠ مليون سنة

مليون سنة، ولها نهاية هي القيام: ﴿... وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ [الزخرف: 85].

وكما أن الإنسان لا يعرف متى ينتهي أجله، فإن الجيولوجيين لا يعرفون متى ينتهي عمر الأرض، إلا أن العجز الزماني يتضح لنا جلياً حين نعلم أن فرش الأرض – وكما سيتبين لنا بعد قليل – قد استغرق، أو قل إنه يلزمه ليصبح على ما هو عليه من إبداع، كل هذا العمر من السنين (4500 مليون سنة)... فكيف للإنسان أن يفرش الأرض، ونعود ثانية لهذه الآية في ﴿فَرَشْنَاهَا﴾ فلا يقدر على فرشها إلا الحي الذي لا يموت. فالهاء تشعرنا نحن الجيولوجيين أيضاً بإعجاز زماني.. وإذا عجزنا عن زمان الأرض فكيف بالسماوات...

الشكل التالي يظهر الصدوع التي على سطح الأرض وتقسمه إلى صفائح تكتونية

كانت اليابسة كتلة قارية واحدة ثم فصلتها الانفجارات الحرارية إلى قارات متباعدة

وزن الإنسان ووزن الأرض:

إن متوسط وزن الإنسان معلوم لنا – وهو حوالي 70 كجم. ولننظر الآن تدريجياً إلى الأوزان التي حولنا، فكيف يوزن البيت كله، إنه أكبر بالتأكيد، فكيف بوزن المدينة التي نعيش فيها، فكيف بوزن قارة مثل إفريقيا، وكيف بوزن خزان مياه صغير... هل تقدر على حمله ؟ فما هو وزن البحر الأبيض المتوسط مثلاً ؟.. وكيف بوزن المحيط الأطلسي؟.. بل كيف بوزن المياه على الأرض والقارات.. ؟؟ المعروف عندنا أنه كلما زادت الكتلة كلما زاد الوزن حتى تصل إلى الأرض وما عليها، إن وزنها (٦×١٠^{٢٤}) طن، وهو رقم من الصعب أن نجد له منطوقاً، وقد استطاع الانسان أن يعرف وزن الأرض الهائلة – والتي يعيش عليها – فلا يكاد يرى لصغر حجمه، إنه دائماً يعلم ولا يقدر فيخر ساجداً لله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

هذه الأرض الهائلة الوزن معلقة في الفضاء من غير عمد تسبح في كون الله بقدر معلوم، فمن ذا الذي رفعها وأبقاها من غير عمد ؟..

من هنا وقبل أن نرى معجزة (فرش) الأرض نتوقف قليلاً لنعلم كم تعجزنا الأحجام وكم يعجزنا الزمان وكم تعجزنا الأوزان أمام قدرة الحنان المنان في فرش الأرض ورفع السماء: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [البقرة: 22].(...)

لولا الصدوع لكان سطح الأرض كالرأس الأصلع

فرش الأرض – من الناحية الجيولوجية:

وصف العليم الخبير الأرض بأنها مهد: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾... ولقد بدا الإعداد لفرش الأرض على ما نراه عليها الآن بتكوين قشرتها، فعمر الأرض (4500) مليون سنة، لكن أقدم الصخور عمراً على الأرض يبلغ (3. 800) مليون سنة، وما بين الزمنين كانت الأرض كتلة من سوائل وغازات لا شكل لها، مرتفعة الحرارة، واستغرق تكوين شكلها – نتيجة لدورانها حول نفسها واستقرار هذا الشكل – بتكوين قشرة خارجية صلبة زمناً كبيراً، وهنا نرى إعجازاً رائعاً في كتاب الله، إذ يقول الخالق العليم: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30]... والإعجاز في قوله: ﴿بعد ذلك﴾، فلم يتم دحي الأرض في أول خلقها بل استغرق ذلك زمناً، فقال العليم الخبير: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30] وسواء كان الدحي متأخراً عن خلق السماوات أو خلق الأرض، فإنه جاء متأخراً، لقوله ﴿بعد ذلك﴾ ولم يكن متزاملاً مع ما قبله... فالجيولوجيين يعلمون أن (بعد ذلك) قدرها (700) مليون سنة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

الأرض مهاد مرتفعة عن الأرض مثبتة على قوائم راسيات

فرشت الأرض بطبقات فوق طبقات حتى تستقر

تكوّن الكتلة القارية الأولى:

تكونت القشرة الصلبة الأولى وكانت رقيقة بالنسبة لحجم الأرض، ونظراً للحركة الدائمة للأرض بمكوناتها السائلة في الداخل، فإن هذه القشرة تشرخت وانفصلت إلى عدد كبير من الأجزاء... ونتيجة للحركة الدائمة، فإن هذه الأجزاء تصادمت مع بعضها في مواقع وتباعدت عن بعضها في مواقع أخرى، مما تسبب في خروج سوائل الوشاح – وهي الطبقة التي تسفل القشرة الأرضية – وتكون ما يعرف الآن (القشرة المحيطية)، وهي أكثر سمكاً من القشرة الأولى... واستمرت الحركة العامة للأرض، وحركة أجزاء القشرة الأرضية، والتي يفصل بينها الشروخ والصدوع.

إن البحث العلمي على مدى الأربعين عاماً الماضية أثبت أن أماكن التصادم بين أجزاء القشرة الأرضية ينتج عنه إندساس جزء بالنسبة للجزء المصطدم معه، ثم انصهار طرفه الهابط في الوشاح، وصعود منتجاته الصهيرية، لتكون مقذوفات بركانية على الجزء الآخر المتصادم معه، يجعله أكثر سمكاً وانتفاخاً، وتتكون بذلك (نوية) لقشرة قارية... بينما الجزءان اللذان يتباعدان عن بعضهما ينتج عن تباعدهما اتساع يملأ بمحتويات الوشاح، وتتكون مناطق منخفضة من القشرة المحيطة... ونرى في نهاية هذه المرحلة أنه قد تكون على الأرض نوعان من المناطق، هي: نوبات قشرة قارية (مرتفعة) وقشرة محيطة (منخفضة)، إن إعداد هذه المناطق القارية الأولى يفوق ما اكتشفه العلماء منها – وحتى يومنا هذا – المائة نوبة قارية.

تكون الكتلة القارية الكبرى:

استمرت الحركات، وتصادمت الكتل القارية معاً، وتجمعت كلها في كتلة كبيرة الحجم، أسماها العلماء (بالبانجيا)، وتكونت هذه الكتلة القارية الكبرى من فصوق قارية أصغر ملتحمة مع بعضها، يفصل بين كل جزء وما حوله أثار من القشرة المحيطة التي كانت تحيط بها من قبل، وكان هذا هو السبيل أمام العلماء لتمييز هذه النوبات القارية وتحديدها، فهم يجدون أن قارة إفريقيا – مثلاً – مجزأة إلى أجزاء يفصل بينها وبين بعضها نطاق رقيق من القشرة المحيطة، وهذه اللحمة تسمى (بالأفيوليت)... وعجباً، أن نجد قشرة محيطية داخل القارة، ولكن هذه القشرة لا تنتمي من ناحية العمر لقشرة المحيط الموجود حالياً، بل كانت قشرة محيطية تفصل بين الكتل القارية الصغيرة، وحيث تجمعت واصطدمت هذه الكتل الصغيرة معاً لتكوين كتلة هائلة

حسرت بينها بقايا القشرة المحيطية.

والسؤال الآن هو: من الذي قاد هذه الكتل الصغيرة عبر الأرض ليجمعها معاً في كتلة واحدة؟ سؤال لا يقدر على إجابته علماء الدنيا... إنه المدبر جل جلاله... هل يدخل هذا في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ [الرعد: 4]... لما لا... سبحانه الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

أهبط الانسان إلى الأرض بعد أن جهّزت وزيّنت

تكوّن القارات الحالية:

هنا، وبعد أن استقر الأمر، وأصبحت القشرة الأرضية الصلبة أكثر سمكاً – وصل إلى 70 كيلو متراً – وأصبح أسفل القشرة وشاح لدن في طبيعته... حدث رائع، وهو انفجارات حرارية من باطن الأرض، من الأعماق الخفية في نقاط محددة تسمى (بالنقاط الساخنة)، وهي شبيهة بالبقع الشمسية، أو الانفجارات التي يراها العلماء على الشمس، حيث تعلو المواد الملتهبة والغازات إلى آلاف الكيلومترات لأعلى، في نافورة حرارية، لقد وجدت أن الله تعالى أسماها في كتابه العزيز – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بـ (التنور)، ولنا في هذا حديث آخر لا يتسع الوقت له الآن.

هذه النافورات الحرارية شرخت الكتلة القارية الكبرى، وقسمتها إلى أجزاء، هذه الأجزاء هي القارات الحالية، وقد تحركت بعيداً عن بعضها حتى وصلت إلى وضعها الحالي... وقد بدأت القصة حين قام أحد علماء الجيولوجيا منذ نيف وسبعين عاماً بقص القارات الحالية من خريطة العالم وجمعها معاً، فاكتشف أنها تلتحم مكونة كتلة واحدة كبيرة، وتوالت الاكتشافات والأبحاث بعد ذلك تؤكد هذا.

الشكل العام /١/:

لقد أصبح الشكل العام للأرض هو مناطق قارية متسعة ومرتفعة تفصل فيما بينها مناطق منخفضة، هي الأحواض المحيطة، وفي تطور سابق لهذا كان الغلاف الجوي قد تكون أخرجت الأرض ماءها، فعاد إليها مطراً واستقرت المناطق المنخفضة، وهي البحار والمحيطات: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: 31].. ولهذا حديث آخر.

لقد بدأ الأمر في الفرش بأن فرش الله المحيطات والبحار بالماء، فهذا فرش عظيم لا يلتفت إليه الكائن على أنه فرش،

صورة لبركان نشط

إن أكثر الفرش بساطاً هو ماء البحر، ولذلك يعتبر مبتدأ القياس في علم الطبوغرافيا – أو المرتفعات – فدائماً ما نقول: هذا المكان يرتفع كذا متراً عن سطح البحر، ولكن هل سطح البحر واحد على الكرة الأرضية، هذا حديث آخر.. إلا أنه أكثر الفرش بساطاً على الأرض.

ومن الطبيعي أن الحنان المنان سيجهز المناطق القارية بفرش تصلح للإنسان، وهنا نبدأ التواصل مع منظومة جديدة، خَلْقٌ من بعد خَلْق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطارق: 12]:

هذا قسَمٌ أقسم الله به، والله يقسم بعظائم الأمور، وإن كانت كل آلائه معجزات ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: 32]: والقسم يكون بصفة رئيسة في المقسم به... إن البشر – خاصة حيث نزل القرآن – لا يجدون الصدع أهم صفة في الأرض، بل وحتى المعاصرين من البشر ينكرون هذا، فكيف بألف وأربعمائة سنة ويزيد، إن ما أجمع عليه علماء الجيولوجيا المحدثين هو أن أهم صفة في الأرض هي (الصدع)، وقد كلف منظمو أحد المؤتمرات العلمية العالمية في عام 1976م أحد العلماء (أجنبي غير مسلم) بتلخيص عام لبحوث المؤتمر التي ألقاها الجيولوجيون في جملة تكون عنواناً للمؤتمر فنطق فقال: (لولا الصدع لأصبحت الأرض صلعاء)، كرأس الأصلع... فلما سئل عن هذا القول قال: إن أهم صفة في الأرض هي الصدوع، فلولا وجود المنخفضات الصدعية لتجمعت فيها مياه البحار والمحيطات والأنهار، لغطى الماء سطح الأرض بارتفاع ثلاثة كيلو مترات ولغرقنا جميعاً... ولولا المنخفض الصدعي لنهر النيل ما شربنا منه، ومن خلال الصدوع تكونت مناطق عالية وأخرى منخفضة على القارات، فاختلف المناخ، واختلفت البيئة النباتية والبيئية الحيوانية، وهطلت الأمطار، وجرى الماء حاملاً معه فتات الصخور لينزل بها على الوديان، فيفرشها بأنواع مختلفة من الفرش على مرّ الملايين من السنين.

الشكل العام /٢/:

أصبح الشكل العام للأرض في هذه المرحلة هو مناطق قارية مرتفعة صالحة لعيش الإنسان، تحيط به مساحات شاسعة من فرش ماء، وفي هذه القارات العديد من الوديان والسهول التي تجري داخلها أنهار لا عد لها ولا حصر... ﴿ ... وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً... ﴾ [لقمان: 20]. وأن هذه القارات أشبه بالسرير، أو المهد، المدعم، فهي من صخور نارية ومتحولة، صلبة ذات أوتاد تنغمس في الوشاح (الطبقة التي تشغل القشرة الأرضية)، وانظر – رعاك الله – إنك إن أردت أن تعد مهداً لحبيب، فإنك تختاره مرتفعاً عمن حوله، ثم تبنى دعامة صلبة تضع فوقها فرش هذا المهد، إلا أن المهد الذي أعده الله لنا ليست دعائمه من حديد أو خشب، بل من الصخور الصلبة الرأسية، وهو فرش ليس من حشو ليف أو قطن، بل من أديم الأرض، مختلف ألوانه... كما سوف نرى.

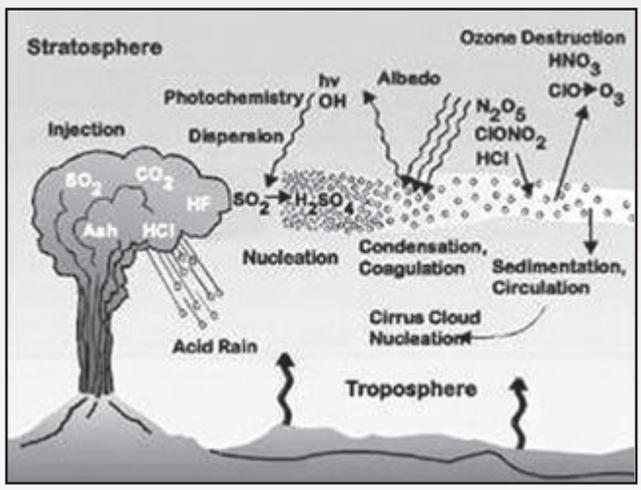

الشكل التالي يبين بخار الماء يتصاعد من البركان ثم ينزل على شكل مطر

طبيعة الفرش:

ان الأرض فرشت بالعديد من أنواع الفرش، فكل قطعة من الأرض قد فرشت بنوع مختلف من أنواع الفرش: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ [الرعد: 4]، هذا في البعد الأفقي، كما سوف نرى، أما في البعد الرأسي – أي إن حفرنا أو استكشفنا بعضاً من الأعماق – فنجد أن هناك فُرُش

بعضها فوق بعض، فعلى مدى التاريخ الجيولوجي فرشت المناطق مرات ومرات، وكل فرش يعلو الذي سبق، وكل فرش أدى – ويؤدي الآن – دوره، وفقاً لنوعه وسمكه وخواصه.

تخلص من هذا إلى أن الأرض فرشت لعدة مرات، ففي كل عصر من العصور هناك فرش، وكلما جاء عصر جديد جاء معه فرش جديد، لقد أصبحت الفرش القديمة مصانع للبترول والغازات الطبيعية ومخازن له، ومخازن لماء المطر، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ...﴾ [المؤمنون: 18]. ﴿...فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22]. فالفرش القديمة مصانع ومخازن وثروات، والفرش الحديثة لنحيا عليها آمنين.

دلالة على محبة من الله سبقت وجودنا

المخرجات البركانية:

النشاط البركاني على مدى العصور المختلفة – وحتى يومنا هذا – له مخرجاته من باطن الأرض، فالغازات – ومنها بخار الماء – تتصاعد إلى الغلاف الجوي، أما المواد الصلبة فإنها ثقيلة: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 2]. فإنها تنحدر منبسطة فوق السهول والوديان، مكونة فرشاً بركانياً داكن اللون، حيث تكون منه أخصب الأراضي الزراعية بعد ذلك ومن أكثرها إنباتاً، أما المواد الصلبة، من رماد بركاني – فإنه يكون سحابة عظيمة فوق البركان، تهبط بعد ذلك مكونة فرشاً دقيق الحجم، ناعم الملمس، يرقد فوق الفرش البركاني الصلب الداكن اللون، إن الثروات المعدنية المصاحبة لهذا النشاط، وما أخفاه الله من الخير في الفرش، لأمر مبهر تحير العلماء فيه.

مهد لا يزال يتحرك تحتنا بسلاسة ونعومة

أنواع الفرش:

إضافة إلى أن البحار قد فرشت بالماء، والمناطق البركانية قد فرشت بالطفوح والرماد، فإن الصحارى قد فرشت – كثير من أجزائها – بالرمال – حيث تكونت بحار من الرمال (كبحر الرمال الأعظم إلى الغرب من وادينا) وبحار الرمال في الجزيرة العربية وغيرها، وهي مختلفة في ألوانها ما بين الأصفر والأبيض والأحمر، وفقاً لمصدر الرمال، وهناك رمال الشواطئ، وهي نوع آخر من الفرش، من حيث الوضع والوظيفة، فإن مياه البحر تندفع إليه، فتتذلل مسامه وتبتعد عنه، فيعود فيتضاغط، وأنت تلاحظ ذلك حين تسير على الشاطئ بقدميك، فإن وزنك يسبب هبوطاً في موضع القدم وجفاف، حيث يطرد الماء من بين المسام، فإذا مر وقت دخل الماء ثانية إلى موقع القدم فانتفخ وعاد إلى ما كان عليه، وهناك فرش من الطين حول الأنهار،

وفي مصبات إلى موقع القدم فانتفخ وعاد إلى ما كان عليه، وهناك فرش من الطين حول الأنهار، وفي مصبات إلى موقع القدم فانتفخ وعاد إلى ما كان عليه، وهناك فرش من الطين حول الأنهار، وفي مصبات الوديان والسيول بالصحارى، حيث تتكون التربة الزراعية الخصبة بجوار الماء ليعملا في إنبات النبات، فيكون لنا ولأنعامنا زرعاً وماءاً، وهناك فرش من الحصى مختلف إحجامه وألوانه ومنافعه وغيره كثير، فنحن لسنا بصدد الإحصاء ولكن للبيان، فرشفة من النهر تكفي للدلالة على حلو مائه.

أما العجب العجاب الذي لا نستطيع مفارقة المجال قبل أن نذكره، فهو ذلك النوع من الصخور المسمى (بالصخور الرسوبية) وهي صخور يسميها الجيولوجيون (صخوراً ناعمة) لتمييزها عن الصخور الصلبة النارية والمتحولة، وهي صخور متماسكة، وكثير منها يتكون تحت ماء البحر، أي يلزم لتكونه وجود مياه بحرية، وهذا النوع من الصخور (كالحجر الجيري) موجود فوق المهد القاري فوق الصخور الصلبة (والتي هي الدعامة الرئيسية للقارة أو المهد)، ويسفل الرواسب الفتاتية العليا، بمعنى أن الفرش الفتاتي الذي ذكرناه يرقد فوق وسادة ليست شديدة الصلابة، ثم

ترقد هذه الوسادة فوق الدعامة الصلبة للقارة.. إن تكوين هذه الوسادة يستلزم أن يغمر البحر أجزاء من القارة لملايين السنين ليرسّب هذه الوسادة، ثم يتراجع تاركاً أياماً فوق اليابسة لتبدأ عمليات الفرش الأخرى تباعاً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

لمحة حنان من الله الحنّان:

إن الطريقة التي تتراص بها حبيبات الفرش ليَسْجُدَ لها العلماء، فإن الناظر لقطاع رأسي يجد أن حجم الحبيبات غالباً ما يصغر من أسفل القطاع لأعلاه، أي أن أدق الأحجام تكون بالأعالي نتعامل معها، وذات الأحجام الأكبر تسفلها، وتتدرج الحبيبات في الكبر بصورة انسيابية حتى تصل إلى أكبر الأحجام في قاع القطاع، والتي ترقد بدورها فوق الغطاء الصخري المتماسك، ثم إن هذه الحبيبات بينها ما يعرفه العلماء (بالفراغات البينية) والتي تمتلئ بالهواء، أو بالماء أحياناً.

استنتاجات:

بعد أن خلق الله تعالى السماوات والأرض: ﴿*لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*﴾ [غافر: 57]. وفي الأرض: ﴿*وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا*﴾ [النازعات: 30]. وفرشها: ﴿*وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ*﴾ [الذاريات: 48]. وقدر فيها أقواتها: ﴿*وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ*﴾ [فصلت: 10]. وزينها: ﴿*وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ*﴾ [الحجر: 16]. فجعل فيها بديع الخلق، من مساقط المياه وزرع ونخيل وزهور وحبوب وطيور مختلف ألوانها، وسماء باهرة الحسن، وغير ذلك من الآيات المبهرة... وصدق الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال).

جاء خلق الإنسان بعد ذلك، فهو من أحدث الكائنات، فعمره لا يزيد – في أرجح الأقوال – عن بضع عشرات الألوف من السنين، بينما يبلغ عمر الأرض (4500) مليون سنة.

بعد هذا الإعداد الهائل لآلاف الملايين من السنين قال الله للملائكة: ﴿*إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . . . .*﴾ [البقرة: 30]... أسوق هذا لأدلل على أن المحبة من الله سبقت وجودنا، وما آلاف الملايين من السنين إلا محبة يعدّ الله لنا في كل لحظة منها ما يجعلنا سعداء آمنين حين يسكننا الأرض: إنك إن أحببت شخصاً، أو جنيناً سيولد لك، فإنك تعد له، ولكن إلى كم وإلى متى ستعد له، إن الله الحبيب أعد لنا هذا المهد طوال (4500) مليون سنة، وهذا يدعونا إلى الخشوع وإلى أن نسجد شاكرين له وحده لا شريك له...

المهد يتحرك:

تأكد لعلماء الجيولوجيا أن قطع الأرض ما زالت تتحرك سابحة فوق بطانة الوشاح التي تسفلها مباشرة، وقد أدت أبحاث مستفيضة – استغرقت أكثر من خمسين عاماً – إلى أن قطع القشرة الأرضية الهائلة الحجم تتحرك... ولنعطي مثالاً علمياً لجزء واحد منها، وهو ما يعرف (باللوح الإفريقي) ويشتمل قارة إفريقيا، والنصف الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، والنصف الغربي للبحر الأحمر، والنصف الشرقي للمحيط الأطلسي الجنوبي، وجزء كبير من قاع المحيط الهندي... هذا الجزء يتحرك بما عليه من سلاسل الجبال الممتدة من صحرائنا الشرقية، جنوباً في السودان ثم الحبشة. وجبال شمال إفريقيا وغربها وجنوبها الغربي... كل هذا اللوح العظيم من ألواح القشرة الأرضية يتحرك حركة بطيئة جداً، تصل إلى عدة سنتيمترات كل عام، في عكس اتجاه حركة عقارب الساعة، مع الاندفاع نحو الشمال في حركة انسيابية مزدوجة.. فيجانب أنه يدور حول نفسه في حركة دائرية، فإنه يندفع في الوقت نفسه ناحية الشمال.

الطبقات القديمة مخازن للبترول والغاز والمياه

ويتحرك (اللوح العربي) المجاور لنا من ناحية الشرق، وهو اللوح الذي تقع فيه الجزيرة العربية بنفس الأسلوب، وفي نفس الاتجاه، ولكنه يسبح بسرعة أكبر من سباحة

اللوح الإفريقي، فاللوح الإفريقي يجري خلف اللوح العربي، ولكن الأخير يسبقه قليلاً كل عام، مما يتسبب في اتساع البحر الأحمر بينهما إلى عدة سنتيمترات كل عام.. فلكي تتسع المسافة بينه وبينك لا يشترط أن نسير في اتجاهين متضادين، ولكن من الممكن أن يحدث هذا إذا سرنا في نفس الاتجاه، والذي في المقدمة يسير بسرعة أكبر من الذي يليه... وهنا سوف تتسع المسافة بيننا تدريجياً، وإن كان علماء الجيولوجيا قد أدركوا بعض الفوائد لهذه الحركات – لأنهم أول من اكتشفها – إلا أنني أعتقد أنه سيأتي اليوم الذي يجد فيه علماء البيولوجيا فوائد جمة لهذه الحركات، فلا بد أن لها تأثيراً على الحياة النباتية والحيوانية على مر العصور، وقد تلحق أو لا تلحق بهذا اليوم، فقد تكون عند الرفيق الأعلى الذي يغنينا بعلمه وفيضه عن كل هذه الاجتهادات... ؟!

آليات الفرش:

إن الإنسان يستخدم في أعمال الفرش ألياف وميكنة، ظاناً أنه قد أدى العمل بآلياته، ولا ينظر للمواد التي استخدمها: كيف جاءت، وكيف أصبحت صالحة للاستخدام في عمليات الفرش... وهو بكل آلياته يعمل في مجال محدود للغاية.. أما الآلية التي وضعها الله في الأرض فهي تحوي أكثر من مليون عملية، نعرفها حتى الآن، تتناغم مع بعضها عبر الزمان والمكان، لتكوّن منظومة الفرش، فالنشاط الناري يقوم بدفع المواد من باطن الأرض ليكوّن صخوراً نارية، تشكل المصدر الأم للمواد، وما يحدث لها بعد ذلك من تجوية وتعرية وتكوين صخور رسوبية ثم متحولة فنارية مرة أخرى، وهو ما يعرف بـ (الدورة الصخرية). وهناك دورة أخرى تعرف (بالدورة الحركية) والتي تتسبب في تحرك المواد وصعودها وهبوطها ودورة ثالثة تعرف (بالدورة المائية)، وهي حركة المياه والهواء وغازات الغلاف الجوي... وهذه الدورات الثلاث تتداخل مع بعضها وتعمل بلا تعارض، بل تتوافق في منظومة واحدة. ولكل مكان وكل ظرف قانون، حتى تحيرت عقول علماء الجيولوجيا وعاش الآلاف منهم في كل عصر يدرسون ويدققون فيما يحدث أمامهم.

إن أهم المعجزات في نظام الأرض هو الدوام الدوري للعمليات الجيولوجية، والتي لا تتوقف أبداً إلا بفناء الأرض ومن عليها، حتى علم الجيولوجيون أن التغيير الدائم لسطح الأرض هو القانون الثابت، بمعنى أن الثابت الوحيد هو التغير، إن عمليات فقدان الكتلة الصخرية من أماكن ونقلها إلى أماكن أخرى، وعمليات تكون الأنهار (وصباها وشبابها وشيخوختها) وانتقالها من مكان لآخر، وحركة المياه الجوفية والبحرية والثورات البركانية والانجرافات القارية، وغير ذلك، مما يضيق المقام عن ذكره... كل هذا يحدث ولا يحس البشر بمعظمه، وبطريقة هادئة رائعة الحُسْن لا تعطل مجرى حياتنا، بل تساعدنا على أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها ... إن هذا التناغم لا يكون إلا بفعل الخالق العظيم جل جلاله، وللإنسان أن يدعى ما يشاء إلا أن العالم من البشر يبقى دائماً في زمرة الذين وصفهم الله في كتابه العزيز: ﴿*إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ*﴾ [فاطر: 28].

---

(١) أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة القاهرة، وعضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة في الجيولوجيا.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع
www.quran-m.com

حركة الأرض بينة على التوحيد
التوافق الدقيق بين القرآن وعلم الفلك

إعداد الدكتور الطبيب محمد دودح*

منذ القدم والسائد هو التَّوَهُّم بالأرض المُسَطَّحَة الثابتة Motionless flat earth، وبثبات النجوم، وبأن الأجرام السماوية تتحرك بحركة أفلاك شَفَّافَة بلا حركة ذاتية حتى جاء عصر العلم فمحاه. ووفق صريح القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادي: الأرض كروية وكل جرم في الكون يجري بحركة ذاتية في مدار مُقَدَّر الأجل؛ يقول تعالى: ﴿*يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى*﴾ [الزمر: ٥]. (...)

القرآن أول من ذكر كروية الأرض

ومن المعلوم أن الألفاظ متعددة الدلالة كلفظ (الأرض) يتعين من دلالاتها المناسب والأليق بكل مقام Context، وقد يرد لفظ (الأرض) للدلالة على مسميات مختلفة كالكوكب أو غلافه الصخري السطحي أو البلد؛ أو حتى التربة والغبار كما في التعبير: ﴿*بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ*﴾ [البقرة: ٧١]، ومن تفوته القرائن قد يحمل لفظ (الأرض) على وجه غير لائق بالمقام، والمعلوم حاليًا أن الجبال امتدادات سطحية بالغلاف الصخري المقسم إلى قطع متجاورات تسمى الألواح القارية Tectonic Plates، وتقوم الجبال الممتدة عميقا بتثبيت تلك الألواح فوق تيارات الباطن كما تفعل أوتاد الخيمة بعد أن كانت تميد وتضطرب عند بداية تكونها، وما أشبه الجبال إذن بالرواسي الصخرية التي استخدمت قديمًا لتثبيت السفن الطافية فوق تيارات المحيط دونها، وفي قوله تعالى: ﴿*وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ*﴾ [النحل: ١٥]؛ الأليق بالمقام حمل لفظ (الأرض) على قطع الغلاف الصخري للكوكب المسمى قشرة الأرض Crust، فتتجلى للقرآن معجزة لإنبائه بغيب، ومع تثنية النبأ تتأكد المعجزة وتتأيد دلالة لفظ (الأرض) على قطع الغلاف الصخري لا الكوكب في قوله تعالى: ﴿*أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ*﴾ [النمل: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿*اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا*﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿*أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا*﴾ [النبأ: ٦و٧]، وتكفي قرينة وصف الأرض بمهاد الصبي كفراش مبسوط فوق الأرض يحميه مما هو دونه من أخطار لتؤيد دلالة لفظ (الأرض) على الطبقة السطحية وتدفع توهم الدلالة على ثبات الكوكب. ووفق علم الفلك Astronomy الأرض كروية تدور حول نفسها ويدور القمر حولها وتدور معه حول الشمس في فلك Orbit يخصها، وتدور الشمس بالمثل ومعها الأرض وبقية التوابع حول مركز المجرة، وهكذا كل جرم في الكون يدور في فلك مُقَدَّر السرعة ولأجل يخصه، فلا تتعارض الأفلاك؛ فما لنا نحسب الأرض ساكنة؛ لأننا نعتلي ظهر دابة تمر بنا يوميًا وسنويًا فتبدو لنا معالمها ساكنة، ووفق علم الفيزياء Physics حركة كل الأجرام نسبية؛ ووفق ما يبدو بالنظر نحسب كل حشود النجوم ثوابت وهي على الحقيقة متحركة، وكذلك الأرض؛ فلا يُعاين حركتها حول الشمس إلا مراقب خارج النظام الشمسي، وما توصل

إليه علم الفلك بعد جهود مضنية لقرون إنما هو قائم على استنتاج لا مُعاينة، إنه حقيقة النظام لا المشهد المرصود.

وفي القرآن الكريم قد وُصِفَت النجوم بالنسبة للبشر بالثبات حتى أنها اتخذت معالم سماوية لبيان الموضع والاتجاه كمعالم الأرض في قوله تعالى: ﴿*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ*﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿*وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ*﴾ [النحل: ١٦]، وضمير الغيبة العائد إلى الناس (هُمْ) يجعل ثبات النجوم منسوب لهم؛ أي وفق ما يشاهدون، وكذلك التعبير (لَكُمُ)، وقد يرد وصف الأجرام بالحركة مُجَرَّدًا من النسبة للبشر شاملاً للنجوم على وجه الحقيقة بخلاف السائد من كونها ثوابت في النظر كما في قوله تعالى: ﴿*وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ*﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أي مسيرات بتقديره تعالى كل منها في فلك يخصه مقدر السرعة والمدة بلا صدام. (...) وقوله تعالى: ﴿*اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى*﴾ [الرعد: ٢]؛ يخلو كذلك من النسبة للبشر فهو على وجه الحقيقة لا ما يبدو بالنظر، ولم يُذْكَر سوى الشمس والقمر، ولكن التعبير (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) مدَّ الوصف بالحركة المُقَدَّرَة ليشمل كل الأجرام في الكون. (...)

وبالمثل في قوله تعالى: ﴿*حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا*﴾ [الكهف: ٨٦]؛ ليس عند جرم الشمس قوم يقطنون ولا هو فعليًّا يغرب يوميًّا في عين؛ وإنما الوصف قائم على ما يبدو للناظر لأنه منسوب لذي القرنين في التعبير (وَجَدَهَا) و(وَوَجَدَ عِنْدَهَا)، يعني: وفق ما تراءى له عند شاطئ المحيط الغربي، وفي مقابل الحركة الظاهرية للشمس تلك ورد وصف حركتها الفعلية في فلك يخصها مُجَرَّدًا من النسبة للبشر، قال تعالى: ﴿*وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾ [يس: ٣٨-٤٠]، وحركة الشمس سريعة وُصِفَت بالجري بخلاف الحركة اليومية الظاهرية البطيئة التي لا يناسبها الوصف بالجري، قال الألوسي: «فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها»، وأن: «للثوابت حركة»، ويفيض الوصف بتقدير الحركة، ففي التعبير: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)؛ تصريح بأن للقمر فلك يقطعه بالنسبة لمنازله النجومية من هلال بداية الشهر حتى هلال آخره حيث يعود كهيئة عود الشمروخ الجاف الأصفر المقوس حامل التمر في النخيل، وبالفعل دورة القمر بالنسبة للنجوم تقل عن الشهر القمري فترة المحاق وتبلغ حوالي ٢٧ يوما وثلث وتسمى بالشهر النجمي Sidereal month، وزيادة الشهر القمري تُفَسَّر فلكيًّا بتحرك القمر مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، وفي التعبير: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ)؛ دلالة على أن القمر أسرع، وهو كذلك بالفعل لأنه يزيد بحركته حول الأرض وحركته معها حول الشمس.

أول من تحدث عن مدار لكل نجم وكوكب

وفي التعبير: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)؛ نفي سبق الليل للنهار كجهتين للأرض يستقيم مع دوام حركتها هي في مدارها، وتقديم الليل في مقام الحركة يعني أن الحركة جهته أسرع، وفلكيًّا جهة الليل بالفعل أسرع لأن سرعة الأرض حول نفسها في نفس اتجاه سرعتها حول الشمس فتضم إليها؛ بينما تُخصم جهة النهار، وفي قوله تعالى: ﴿*يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ*

«والشمس تجري» دليل على سرعتها

﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ لا توجد نسبة للبشر فهو قائم على الحقيقة لا ما يبدو للناظر من الأرض، وجعل الليل ولازمه الظلام فوق طبقة النهار ليعم الفضاء حقيقة علمية، ووصف النهار بالحركة الحثيثة العاجلة ليحل محله على الدوام ظلام الفضاء يستقيم مع حركة الكوكب في مداره. (...)

ويلاحظ المراقب تزايد الشهب في الكثرة والسرعة بعد منتصف الليل لتبلغ الدرجة القصوى فترة الصبح باعتبارها جبهة الأرض خلال مسارها في مدارها حول الشمس، وهي نفس الفترة التي اختارها القرآن الكريم لبيان أقصى شدة للارتطام والدمار بالأحجار النيزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨١-٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣و٧٤]، وبالفعل يكون الارتطام على أشده عندما تواجه الأرض النيزك بجبهتها فترة الشروق خلال حركتها في مدارها حول الشمس مضيفة سرعتها نحوه إلى سرعته نحوها؛ بخلاف الجهة المقابلة فترة الغروب حيث تُخصم سرعتها من سرعته فتقل قوة الارتطام. فما أشبه كوكب الأرض إذن بدابة يمتطي الناس ظهرها فتمضي بهم ليمرون على المعالم حولهم؛ فتبدو لهم المعالم السماوية مارة من الشرق إلى الغرب والأرض ساكنة، والحقيقة أنهم هم الذين يمرون على المعالم السماوية كما يمر راكب الدابة على معالم الأرض؛ أليس هذا هو المضمون في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، فهم الذين يمرون على المعالم السماوية وهم على ظهر الأرض بيانا لحركتها اليومية والسنوية كما يمرون على معالم الأرض وهم على ظهر المركوبات ولا يعتبرون ببديع الصنع ووحدة التصميم والتقدير، ووصف الحركة الفعلية مجرد من النسبة للبشر؛ وجاء التعبير عن حركة الأرض بمرور من على سطحها كشهود على دلائل القدرة ووحدة التقدير. (...) فإنا نحن المارون على الأجرام السماوية بحركة الأرض (اليومية والسنوية)..؛ (بعكس) ما يُخيل إلينا في ظاهر الحس. وكما رأيت وفق ما كشفه العلم حديثا مُفَسِّرًا ومُؤَيِّدًا للقرآن الكريم؛ في الكون نظام يوحد حركة الأجرام يستحيل أن تخالفه الأرض فتخرج على القانون وتخرق وحدة التقدير، فهي مسخرة ولا تملك لنفسها اختيار؛ ولذا حركتها ضمن حشود الأجرام في الكون ليشملها نفس التصميم Design شهادةً تعلنها كسواها على وحدانية المبدع القدير، وأما كشف خفايا التكوين في تعبير وصفي دقيق وعميق يعتمد التمثيل الغني بالمضامين؛ فيتجاوز آفاق المعارف زمن التنزيل ليشهد للكتاب الكريم جازمًا بالوحي.

«يغشي الليل النهار» دليل على طغيان الظلام في الكون

---

* باحث في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

إضمن نسختك القادمة من «الإعجاز»

إذا كانت مجلة «الإعجاز» لا تصلكم بواسطة البريد Liban Post ، ولكي نضمن وصول الأعداد القادمة إليكم يرجى تزويدنا بعنوانكم كاملاً وواضحًا.

يمكن إرسال العنوان بالفاكس أو عبر الإنترنت أو بالبريد العادي على عناوين منتدى الإعجاز المطبوعة في المجلة.

إختلاط الماء بالأرض الهامدة

د. قطب عامر فرغلي*

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما بالحق، وتميزت الأرض باحتوائها نظماً بيئية متعددة. ومفهوم النظام البيئي هو مساحة الأرض التي تحوي مكونات حية ومكونات غير حية. وتتفاعل هذه المكونات مع بعضها، وتنتقل العناصر الكيميائية من المكونات غير الحية إلى الكائنات الحية وبالعكس. وتتكون الكائنات الحية من عنصرين أساسيين هما:

الماء: كما في قوله تعالى: ﴿ ***وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون*** ﴾ [الأنبياء: 30].

والتراب: كما ذكر عز وجل: ﴿ ***يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب*** ﴾ [الحج: 5].

وحبيبات التربة هي مكون غير حي يحفظ الماء، ويحمل كثيراً من العناصر الغذائية اللازمة للمكونات الحية. وإن اختلاط الماء بالتربة ـ وخاصة غرويات الطين ـ يعطي مظهراً لبداية نشاط الكائنات الحية بها على مختلف صورها، مثلما يحدث لحبيبات التربة ذاتها.

ويمكن إدراك ذلك من قول الله عز وجل: ﴿ ***وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج*** ﴾ [الحج: 5]. وقوله تعالى: ﴿ ***ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير*** ﴾ [فصلت: 39].

ومما تقدم يمكن القول بأن سقوط أو إنزال الماء على الأرض أو التربة يتسبب عنه حدوث آثار أو آيات ثلاث، أكد حدوثها الكثير من علماء الأرض والحياة بمساعدة الأجهزة العلمية دون أدنى شك، وهي كما ذكرت في الآيات الكريمة السابقة.

أولاً –اهتزت: هو حدوث حركة اهتزازية منفصلة للحبيبات المكونة للتربة. وليس بالطبع تحرك طبقات القشرة الأرضية كتلة واحدة كما يتم أثناء زلزلة الأرض.

ولتفهم حدوث اهتزازات هذه الحبيبات ينبغي الإلمام بشيء عن طبيعتها وصفاتها.

وطبقاً لما يعرف عن تقسيم قوائم التربة (Soil Texture) فإن حبيبة الطين يقل قطرها عن (00.002) من المليمتر. وتتكون الحبيبة من طبقات متراصة (من صفائح السليكا والألومينا) كل طبقة فوق الأخرى.

وتحمل الحبيبة على سطحها شحنات كهربائية سالبة أو موجبة على حسب نوع الطين (تنشأ من الزيادة أو النقصان في الشحنات الكهربائية للوحدات الداخلة في تركيب معدن الطين). والطين من الغرويات المعدنية التي تتمتع بكثير من صفات الدقائق الغروية. ومن ثم فعند نزول الماء على الأرض بكميات مناسبة يؤدي إلى اهتزاز حبيباتها، ويمكن تفسير ذلك بما يلي:

أ) ظهور الشحنة الكهربائية على سطوح الحبيبات يسبب عدم استقرار لها، وحدوث حركات اهتزازية لا يمكن سكونها وثباتها إلا بعد تعادل هذه الشحنات بأخرى مخالفة لها في الشحنة (ناتجة عن تأين الأملاح بالتربة) حيث يتم تلاقحها على سطح الحبيبة فتستقر وتسكن، وجعل المخلوقات في أزواج رحمة من الله تعالى لها للاستقرار والسكون.

ب) حدوث حركات واهتزازات لجزيئات التربة (الغروية) نتيجة دفع الدقائق الطينية بجزيئات الوسط السائلي (الماء).

ولما كانت حركة جزيئات السائل ليس لها اتجاه فإن الدقيقة الغروية (حبيبة الطين) تهتز وتتحرك من مكانها نتيجة لما تتعرض له من ضربات غير متساوية على

جوانبها المختلفة.

وقد لاحظ العالم روبرت براون (عام 1243هـ - 1828م) هذه الحركة للدقائق الغروية، وأطلق عليها اسم الحركة البراونية (Brawnion) حسب مذكرات د. حسين حمدي 1969م لمادة الغرويات.

والوسط السائلي (الماء) يكون هو الغالب على الجزء الصلب، وكلما كان الوسط السائلي متوفراً بكميات مناسبة أدى ذلك إلى تباعد حبيبات التربة عن بعضها وسهولة حركتها ما لم يحدث لها تخثر أو تجميع، فإذا نقص تقاربت الحبيبات وأبطأت حركتها واهتزازها حتى تتوقف. وإذا تعادلت الشحنة الكهربائية التي تحملها استقرت وفقدت حركتها واهتزازها. ولذلك فإن كلمة (اهتزت) الواردة في الآية الكريمة هي تأثير مباشر للماء على حبيبات التربة. وإن اهتزاز حبيبة التربة بتأثير دفع الهواء هو تأثير غير مباشر للماء أيضاً، فالماء يحل محل الهواء. وينطلق الهواء من ثقوب محددة إلى الهواء الجوي على هيئة فقاقيع متقطعة، وقد يدفع حبيبات التربة جانباً في اتجاه معين. لذا فاهتزاز حبيبة التربة ما هو إلا تأثير مباشر لضربات غير متساوية من جزيئات الماء على جوانب الحبيبة، وهي مستمرة متى ما وجد الماء في التربة. وهناك تفسيرات تشير إلى أن حبيبات التربة تهتز وتنتفخ وتظهر أعضاء الجنين فوق سطح التربة، ويحدث ذلك نتيجة عملية بزوغ وخروج الريشة أو استطالة السويقة (تحت الفلقية) تدفع حبيبات التربة إلى أعلى مسببة اهتزازاً لحظياً لجزيئات التربة المتماسكة بعد حدوث عملية الإنبات.

ثانياً - ربت: المراد بها انتفخت ونمت وزادت في السمك. وبالتالي زيادة حجم الأرض نتيجة زيادة أحجام حبيباتها. وكما سبق ذكره من قبل فإن حبيبة الطين تتكون من طبقات متراصة، بين كل طبقة وأخرى مسافة بينية تتيح لجزيئات الماء وأيونات العناصر الذائبة فرصة الدخول فيها.

وتتشرب الحبيبة بالماء، والأيونات (صفة غروية) فيتمدد بذلك معدن الطين، ويزيد سمك قطر الحبيبة.

والماء الممسوك على سطح الحبيبات (الماء الشعري والهيجروسكوبي) له دور كبير في زيادة سمك التربة كلها بزيادة المسافة بين الحبيبات. وهكذا تربو الأرض بتأثير الماء.

ومن الأمثلة العملية في هذا المجال أنه عند وضع وزن معين من الطين في مخبار مدرج وصب كمية معينة من الماء عليه فإن حجم الطين يزداد بتشربه للماء، وينقص بسحب الماء منه بعملية تجفيف التربة - ويعتبر طين المونتومور بلونت من أحسن الأنواع التي لها القدرة على التمدد والانكماش بتأثير الماء علاوة على امتصاصه العديد من أيونات العناصر الغذائية بكميات كبيرة.

إهتزت وربت وأنبتت كلمات قرآنية لكنها كيميائية ميكانيكية

من هنا يتضح دور وأهمية ذلك بالنسبة للنبات لأن كل حبيبة لها القدرة على حمل الماء بين طبقاتها، وحفظ جزيئات الماء على سطحها (غلاف يحيط بالحبيبة) بقوى الجذب الاليكتروستاتيكية والتحام جزيئات الماء ببعضها عن طريق الروابط الهيدروجينية (ويقل تأثير هذه القوى كلما كان جزيء الماء بعيداً عن سطح حبيبة الطين). فهي بمثابة وعاء يحفظ الماء من التسرب إلى اسفل بتأثير الجاذبية الأرضية أو غير ذلك. وهذا يلفت النظر إلى التفكر في قوله تعالى: ﴿ ***وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون*** ﴾ [المؤمنون: 18].

وإن الدراسات العملية والعلمية، ومراجع علوم الأراضي، والبيئة النباتية لتؤكد حدوث الاهتزاز والربو لحبيبات الطين، وخير دليل على ذلك هو ذلك التبادل بين الأيونات المتحدة على سطوح الحبيبات، والأيونات الهيدروجينية ليستفيد النبات من أيونات العناصر الغذائية لسد احتياجاته في بناء أنسجته.

أما ربو وانتفاخ الحبيبة فهذا دليل على احتفاظها بكمية من الماء في التربة، وإن لم يستطع النبات الحصول عليها يبدأ في الذبول، وقد يؤدي الأمر إلى موته إذا لم ترو الأرض.

ويكفي أن نعرف أن معدل فقدان الماء بالنتح والتبخر من النبات يفوق كثيراً معدل استخدامه للماء في عملياته الجوية المختلفة.

ثالثاً – أنبتت: أي حدثت عملية إنبات البذور وغيرها مما تحويه الأرض كما في الآية الثالثة لنزول الماء على الأرض، وهذا يوحي بخروج الحي من الميت كما في قوله تعالى: ﴿ ***والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور*** ﴾ [فاطر: 9].

فعندما يتوفر الماء تستقي منه البذور والجراثيم والأبواغ، وجميع الأعضاء النباتية القابلة للإنبات فينشط جنين البذرة، وتنتقل المواد الغذائية البسيطة التركيب إليه بعد تحلل المواد المعقدة مائياً بواسطة الأنزيمات الخاصة بذلك فتنبت أعضاؤه وتبدأ ببزوغ الجذير (Radicle) الذي يعطي المجموع الجذري أولاً بقدرة الله عز وجل كي يتحسس وسط الإنبات، ويوفر احتياجات النبات فيما بعد، ثم يليه الريشة (Plumule) التي تعطي المجموع الخضري كل ذلك يكتمل والبذرة ما تزال تحت سطح التربة. ومع نمو الجذير وانتحائه إلى أسفل، تتجه الريشة أو السويقة تحت الفلقية (Hypocotyl) إلى أعلى رافعة فوقها حبيبات التربة المتراكمة مخترقة لطبقاتها ثم تظهر فوق سطح التربة بانتحائها جهة الضوء. والآية الكريمة تشير إلى إنبات البذور الخاصة، وهي أقرب إلى ذهن وعقل إي إنسان كما أنة كلمة (بهيج) تدل على البهجة، وهي ما تراه الأعين من ألوان شتى لأزهار النباتات البذرية من ذوات الفلقة (Monocotyledons) وذوات الفلقتين. (Dicotyledons)

ومما يؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ***أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هي قوم يعدلون*** ﴾ [النمل: 60].

عندئذ تسر برؤيتها العيون، وتدهش لها العقول ﴿ ***سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون*** ﴾ [يس: 36].

وإن تسلسل حدوث الآثار الثلاثة السابقة: الاهتزاز والانتفاخ للأرض ثم الإنبات لما تحتويه، لإشارة إلى الترتيب الزمني لحدوث كل أثر أو آية. فإذا نزل الماء على الأرض تسبب ذلك في اهتزاز حبيباتها، وحدوث الانتفاخ. وزيادة النماء والحجم للحبيبة ويظهر أثره بعد عدة ساعات لاكتمال هذه العملية، بينما إنبات البذور يستغرق زمناً أطول. وأدنى وقت لحدوثه هو يوم على الأقل من بداية الري مع مراعاة الظروف البيئية المصاحبة للإنبات.

خلاصة القول:

تهتز حبيبات التربة عند اختلاطها بالماء، وتتحرك جزيئاتها غير محددة لاتجاه معين، ويعني ذلك أن الأرض (اهتزت). وعملية ترسيب الماء بين طبقاتها يزيد من سمك وحجم الحبيبة، وبالتالي كل الحبيبات. وهذا يعطي معنى (ربت) وانتفخت لتخزين الماء اللازم لإحياء الأرض، فتتشرب البذور وغيرها، وينبت الجنين تحت سطح التربة ببزوغ الجذير والريشة، وبذا تكون الأرض قد (أنبتت). ثم يظهر التنبت فوق سطح التربة ويكبر ويثمر معطياً رزقاً للعباد، وتتم كل هذه الآيات وفق ترتيب محكم وزمن متقن لأنه من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه. ﴿ ***فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير*** ﴾ [الروم: 50]. (...)

---

* للراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾... تفسير لغوي

أ. محمد إسماعيل عتوك*

قال الله عز وجل: ﴿ *وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* ﴾* (الذاريات:٤٧-٤٩)

تُعَدُّ هذه الآيات الكريمة من أقوى الدلائل على قدرة الله تعالى، ووحدانيته، ومن أشدها تحذيرًا من عقابه وعذابه. وقد سبقتها آيات، تحدثت عن أخبار الأمم الطاغية المكذبة بالبعث، وهلاكها، فجاءت هذه الآيات عقبها؛ لتؤكد قدرة الله تعالى على الخلق، والإعادة، وأنه واحد، لا شريك له، يستحق العبادة، والتوحيد؛ ولهذا صدر الأمر منه تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بعبادته سبحانه وحده، وتوحيده، وإلا فمصيرهم كمصير من سبقهم من الأمم؛ وذلك قوله تعالى عقب الآيات السابقة: ﴿ *فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* ﴾* (الذاريات:٥٠- ٥١)

وأَوَّل ما يلفت النظر في هذه الآيات الكريمة، ويدعو إلى التفكر والتدبر مجيئُها على هذا الترتيب البديع: بناء السماء بقوة، والتوسُّع المستمر في بنائها أولاً. ثم فرش الأرض، وتمهيدها لساكنيها ثانيًا. ثم خلق زوجين من كل شيء ثالثًا.

والسر في ذلك- والله تعالى أعلم- هو أنه لمَّا كان الغرض الإخبار عن قدرة الله تعالى، ووحدانيته، وإقامة الدليل على ذلك، قدَّم سبحانه ما هو أقوى في الخلق. وما كان أقوى في الخلق، كان أقوى في الدلالة، وأظهر في الإفادة.. ومعلوم أن الله تعالى خلق السماوات والأرض، ثم خلق بعدهما جميع المخلوقات، وما خُلِق ابتداءً، كان خَلْقُهُ أشدَّ، وإن كان الكل عند الله تعالى في الخَلْق سَواء. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى:

﴿ *أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* ﴾* (النازعات:٢٨-٣٠)

﴿ *فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ* ﴾* (الصافات:١١)

ويشير قوله تعالى: ﴿ *السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ* ﴾ إلى أن السماء بُنِيَت بإحكام، على شكل قبَّة مبنية على الأرض، وأن بناءها باقٍ إلى يوم القيامة، لم يُعْدَمْ منه جزءٌ، خلافًا للأرض؛ لأنها في تبدُّل دائم وتغيُّر مستمر، وخلافًا للمخلوقات؛ لأن مصيرها إلى الهلاك والفناء؛ ولهذا قال تعالى في السماء: ﴿ *بَنَيْنَاهَا* ﴾، وقال في الأرض: ﴿ *فَرَشْنَاهَا* ﴾، وقال في كل شيء: ﴿ *خَلَقْنَا* ﴾. فالخَلْقُ يبلى ويفنَى، والفَرْشُ يُطوَى ويُنقَل. أما البناءُ فثابتٌ باقٍ، وإليه الإشارة بقوله جل وعلا: ﴿ *وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا* ﴾* (النبأ:١٢)

والبناءُ في اللغة نقيضُ الهدم، ومعناه: ضَمُّ شيء إلى شيء آخر. ومنه قولهم: بَنَى فلانٌ على أهله.. والأصل فيه: أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها. ومن هنا قيل لكل داخل بأهله: بَانٍ. والعامة تقول: بَنَى الرجل بأهله. والصوابُ هو الأوَّل؛ ولهذا شُبِّهَت السماء بالقبة، في كيفية بنائها.

وفي تقديم كل من ﴿ *السَّمَاء* ﴾، و﴿ *الْأَرْضَ* ﴾، و﴿ *كُلِّ شَيْءٍ* ﴾ على فعله دليلٌ آخر على أن الخالق جل جلاله واحدٌ أحدٌ، لا شريك له في خلقه، لأن تقديم المفعول يفيد معنى الحصر، فإن تأخر عن الفعل، احتمل الكلام أن

يكون الفاعل واحدًا، أو أكثر، أو أن يكون غير المتكلم.

أما تأخير المفعول في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾(الأنعام: ٧٣)

فإن الكفار ما كانوا يشكُّون لحظة في أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(لقمان:٢٥)

ثم إن قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ يشير بوضوح وجلاء إلى أن الله تعالى بنى هذا الكون، وأحكم بناءه بقوة، وأن هذا البناء المحكم، لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما هو في توسُّع دائم، وامتداد إلى ما شاء الله تعالى وقدر. دلَّ على ذلك التعبير بالجملة الاسمية، المؤكدة بـ(إن) و(اللام)، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

ثم إن في إطلاق الخبر ﴿مُوسِعُونَ﴾، دون تقييده بالإضافة، دلالة أخرى على ما أراد الله تعالى أن يخبر عنه، وأكده العلم الحديث. فقد ثبت للعلماء منذ الثلث الأول للقرن العشرين أن هذا الجزء المرئي من الكون مُتَّسِعٌ اتِّساعًا، لا يدركه عقل، وأنه في اتِّساع دائم إلى اليوم. بمعنى أن المجرَّات فيه تتباعد عن مجرتنا، وعن بعضها البعض بسرعات هائلة.

وهذه الحقيقة المكتشفة أكدتها حسابات كل من الفيزيائيين النظريين والفلكيين، ولا تزال تقدم المزيد من الدعم والتأييد لهذه الحقيقة المشاهدة، التي تشكل إعجازًا علميًا رائعًا من إعجاز القرآن!

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ إعجاز آخر من إعجاز القرآن؛ حيث كان الظاهر أن يقال: ﴿فَنِعْمَ الْفَارِشُونَ﴾، بدلاً من قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾. ولو قيل ذلك، لكان بليغًا؛ ولكنه لا يؤدِّي المعنى المراد؛ لأن الأرض خُلِقَتْ؛ لتكون موضع سكن واستقرار. ولا يمكن أن تكونَ كذلك إلا إذا مُهِدَت بعد فرشها. فاختار سبحانه وتعالى للمعنى الأول لفظ (الفرش)، لِمَا فيه من دلالة على الراحة والاستقرار، واختار للمعنى الثاني لفظ (التمهيد)، لِمَا فيه من دلالة على البَسْط والإصلاح.

وكونُ الأرض مفروشة، وممهدة لا ينافي كونها كروية، بل ينسجم معه تمام الانسجام؛ لأن الكرة إذا عَظُمَتْ جدًا، كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه.

وفَرْشُ الأرض يعني: تذليلها بعد أن كانت ناتئة صلبة. وكما تُذَلَّلُ الأنعام. أي: تفرَش؛ ليُركَب عليها، كذلك تفرَش الأرض؛ ليُستقَرَّ عليها.. وأما تمهيد الأرض فهو تهيئتُها، وتسويتها، وإصلاحها؛ لينتفع بها.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيشير إلى أن الله تعالى خلق زوجين من كل شيء، ممَّا نعلم، وممَّا لا نعلم، وجاء العلم الحديث؛ ليكتشف تباعًا ظاهرة الزوجية، في هذا الكون الفسيح، وتمكن العلماء أخيرًا من رؤية هذه الظاهرة، في الحيوان المنوي الذكر.

والزَّوْجُ من الألفاظ المتَضَايفَة، التي يقتضي وجودُ أحدهما وجودَ الآخر. وهذا الآخر يكون نظيرًا مُماثلاً، وهو المِثْل، ويكون ضِدًّا مُخالفًا، وهو النِّدُّ . وما من مخلوق إلا وله مِثْلٌ، ونِدٌّ، وشِبْهٌ، والله جل وعلا وحده هو الذى لا مِثْلَ له، ولا نِدَّ، ولا شِبْهَ؛ لأنه واحد أحد، وفرد صَمَد، ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الشورى:١١)

ولهذا لا يستحق أحد أن يُسَمَّى خالقًا وربًّا مطلقًا، وأن يكون إلهًا معبودًا إلا الله جل وعلا؛ لأن ذلك يقتضى الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلا لله وحده سبحانه، وتعالى عمَّا يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا.. والحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

الإعجاز العلمى فى أحاديث الرسول ﷺ عن الوزغ

أ. أحمد كمال الدين عبد الجواد*

نوع من الوزغ

إعجاز علمي نبوي جديد
عن حيوان زاحف صغير يدعى الوَزَغ

بعض الأحاديث التي ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم عن الأوزاغ:

• عن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمرها بقتل الأوزاغ (...) البخاري (٢٦٢٨). سنن ابن ماجة ٣٢٥٠.

• وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرازق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعيد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً.

• وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال، (من قتل وزغاً في أول ضربة كتبت له مائة حسنه، وفيالثانية دون ذلك، وفيالثالثة دون ذلك) وفيرواية..(في أول ضربة سبعين حسنة) صحيح مسلم (٣٣٥٩). (كما روى ابن ماجة عن أبي هريرة مثل ذلك في سننه ح رقم٣٣٥١).

بعض أقوال العلماء في تفسير أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم:

أولاً- قول الإمام النووي رحمه الله: وأما سبب تكثير الأجر في قتله بأول ضربة ثم ما يليها فالمقصود به الحث على

حيوان زاحف ينقل أمراضاً معدية

المبادرة بقتله، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله، وأما تسميته فويسقاً فنظيره الفواسق الخمس التي تقتل في الحل والحرم. وأصل الفسق الخروج، وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحيوانات ونحوها بزيادة الضرر والأذى.(...) (من شرح صحيح مسلم للإمام النووي الجزء السابع ص٤٠٤).

ثانياً- قول الإمام محمد ابن عثيمين رحمه الله: (وأما الحديث: وهو قتل الوزغ: والوزغ سام أبرص هذا الذى يأتى في البيوت يبيض ويفرخ ويؤذي الناس أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وكان عند عائشة رضي الله عنها رمح تتبع به الأوزاغ وتقتلها، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قتله في أول مرة كذا من الأجر وفيالثانية أقل، كل ذلك تحريضاً للمسلمين على المبادرة لقتله وأن يكون قتله بقوه ليموت في أول مرة.(...) (من شرح رياض الصالحين باب المنثورات المجلد الرابع).

السرعة في قتله نظراً لسرعة فراره

نبذه عن الأوزاغ:

الأوزاغ هي حيوانات صغيرة، أو متوسطة الحجم، وهى من السحالي التي تنتمي لعائلة الوزغيات، وله أسماء عديدة معروف بها منها: البرص، أبوبريص، البريصه، لَغه، الفويسقة (الفويسقاء)، الجيكو،... تتواجد هذه الأوزاغ في مختلف البلدان والمناطق الإستوائيه في جميع أنحاء دول العالم.(...) والأوزاغ حيوانات ليليه يمكن رؤيتها متسلقه الجدران في المنازل وغيرها من المباني وذلك بحثاً عن الطعام، تمتاز بجلد رقيق شفاف وبه بقع بنيه، وألوانها متعدده، من أصفر لأصفر غامق أو اللون البيج والبني معاً إلى غير ذلك من الألوان في المناطق المختلفة؛ وعينيها بارزتان، وذيلها أكبر من جسمها، ولها أنواع كثيره جداً ما يقرب من ٢٠٠٠ نوع، وتمتلك هذه الحيوانات نظم دفاعيه منها قطع ذيلها عند الإحساس بالخطر، حيث يتجدد بعد ذلك، وعادةً يخرج أقصر من الذيل الأصلي ويختلف عنه نوعاً ما ؛ ومن أنظمه الدفاع أيضاً إلقاء الفضلات على المعتدين. ويستخدم الذيل في كثير من الأنواع كمورد للطاقه مثل تخزين الدهون والتي يستخدمها في إطار الظروف غيرالملائمه. وتستخدم الأوزاغ لسانها لتنظيف عيونها بدلاً من جفونها لأنها لاتمتلك جفون. تنموالأوزاغ الصغيره مابين ٢-٤ بوصات، وأما الأوزاغ الكبيرة يمكن أن تصل إلى ٦ بوصات. تتغذى الأوزاغ عادةً على الحشرات، النمل، الصراصير، والديدان، وأحياناً القوارض الصغيرة مثل الأرانب والفئران حديثي الولادة، وأحياناً يأكل الفاكه؛ تتطلب الأوزاغ بعض الرطوبه والمياه. الذكور عادةً تكون أكبر من الإناث، (...) يتم التزاوج خارجياً بين الذكر والأنثى، ويتكون البيض داخلياً، وبعد فترة نموه داخلياً تفقس الأنثى البيض (في خلال ٥٠-٦٥ يوم بعد فترة حضانه في درجة حرارة ٣٢ مئويه)؛ وتبيض الأنثى بيضتان أو ثلاثة في الموسم، وحجم البيضة تقريباً نصف بوصة. تنتشر الأوزاغ بالأماكن التي يسكنها الأشخاص، والمحيطة بهم كالحدائق وغيرها، ويتواجد أحياناً تحت الصخور، وفيالكهوف الصغيره، وكما هو معلوم أنها حيوانات ليليه، لذلك لاتتطلب أي نوع من الإضاءة، وتتواجد دائماً في الأماكن الرطبه في درجه الحراره المعتدله. تمتلك الأوزاغ ملايين من الشعيرات المجهرية أسفل أقدامها، والتي تقوم بوظيفه الإلتصاق على الأسطح والجدران.(...)

نوع آخر من الوزغ

صورة لبعض الاوزاغ

الأوزاغ موطن للعديد من الأمراض:

كما علمنا أن الأوزاغ تتغذى على العديد من الحشرات كالذباب، والناموس، والصراصير، وأيضاً الديدان كالديدان الشمعيه، وغيرها؛ لذلك من المعروف أن الحشرات أكثر وسط فعال في نقل الأمراض المتوطنه. مسكن الأوزاغ أيضاً يلعب دوراً هاماً في الأصابه بالأمراض، لأن معظم الأوزاغ تسكن في الأماكن الرطبه والأكثر تلوثاً.

أولا: الأمراض البكتيريه Bacterial diseases: تحمل الأوزاغ بكتيريا السالمونيلا Salmonella، حيث أنها لا تتأثر بها ولكنها تنقلها إلى العوائل الأخرى.

ثانياً: الأمراض المعويه Gastrointestinal diseases:

• تحتوي الأوزاغ العديد من الطفيليات المرضه، وأكثر هذه الطفيليات شيوعاً هو طفيل الكريبتوسبوريديم Cryptosporidium، (...).

• أيضاً يأتى إليها الديدان الدبوسية Entrobius vermicularis، حيث تشاهد بيوض هذه الديدان في البراز، ومن المعروف أن الدوده الدبوسيه معديه، ولذلك من السهل أن تنتقل من الأوزاغ إلى غيرها من العوائل.

ثالثاً- الأمراض التنفسية: Respiratory diseases

تأتي أمراض الجهاز التنفسى من أشياء عديدة، منها نوع من أنواع الطفيليات يسمى البنتاستوميدا Pentastomida، والمعروفة بعد تطورها بالديدان اللسانيه (...).

خطورة تربية الأوزاغ كزواحف أليفة:

أظهرت نتائج أحدث إحصاءات وكالة حماية الصحة في بريطانيا، أن الأطفال في المنازل التي تربى بها الأوزاغ كزواحف أليفه أكثر عرضة للإصابة ببكتيريا السالمونيلا (...).

نشرت مجله العلوم الأمريكيه جزئاً خاصاً ناقشت فيه مسببات الأمراض من الزواحف الأليفه، حيث قال الدكتور برندان بوريل أنه قد وجد عشرة أنواع من السالمونيلا في أحد الأوزاغ، (...) حيث يصاحب الإصابه حمى معتدلة، والغثيان وآلام في البطن والمغص والإسهال.

ينمو في البيوت والأماكن الرطبة

وجه الإعجاز

حذرنا النبى صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ سنة من هذه الأوزاغ وأوصانا أن نبتعد عنها وأن نقتلها عندما نراها، نظراً لإصابة من يتعامل معها بالضرر، ولارتفاع احتمال إصابتهم بأمراض خطيرة.(...)

---

* كليه العلوم جامعه الأزهرالشريف. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

الإعجاز العلمي في حديث «بيت لا تمر فيه»

د. «معز الإسلام» عزت فارس*

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ- صلى الله عنه وسلمَ- : «يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فيه جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ.قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا». (صحيح مسلم، كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَاب فِي ادِّخَارِ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ، رقم الحديث: ٣٨١٩).

في هذا الحديث الصحيح سنداً الموثوق متناً إشارة بينة ودلالة ظاهرة على العلاقة المتلازمة بين تناول التمر، وهو ثمر النخيل (Phoenix dactylifera L) المعروف بطعمه وحلاوته، وحصول الشبع الذي هو نقيض الجوع وخلافه. وقد أفاض علماء الحديث وشراحه في تفسير هذا الحديث وتبيان مراميه وتوضيح معانيه. وعلى الرغم مما قيل في معنى الحديث وما اختلف حوله في خصوصه أو عمومه، إلا أنه يحوي إشارة واضحة إلى تلك العلاقة المباشرة بين تناول التمر وحصول الشبع.

وفي الحديث من أساليب البيان النبوي ما يؤكد على المعنى المراد، ففي استخدم لفظ «بيت» مجاز مرسل محله المكان، حيث عبر الحديث عن أهل البيت الذين هم من يتناول التمر ويأكله بالمكان الذي يقطنه أهل هذا البيت.

وفي الحديث إثبات للجوع لمن لا يتناول التمر، وفي وصفهم بالجوع «جياع أهله» دلالة صريحة على تحقق الجوع عند غياب هذا الطعام. مع أن هذا الحديث يعد من الأحاديث المختلف عليها من حيث المقصود والمراد به؛ إذ إن الكثيرين لا يتناولون التمر ولا يشعرون بالجوع، بل هم متخمون من فرط الشبع، الأمر الذي يفتح الباب لمعنى آخر غير المعنى الظاهر. فالمعنى الذي يتساوق ويتفق مع الحقيقة العلمية لفسيولوجيا الجوع والشبع هي نفي الجوع عمن يتناول التمر وليس إثبات الجوع لمن لا يتناوله(...). ولعل ظاهر الحديث يتساوق مع واقع المسلمين والناس آنذاك في عصر النبوة حيث كان التمر القوت الرئيس والغذاء الأساس لدى الناس وكان اعتمادهم عليه كغذاء أساسي كفيل بدرء خطر الجوع عنهم، وخاصة في جزيرة العرب حيث محدودية أنواع

نوع من أنواع التمور الشائعة

الطعام والشراب مقارنة مع غيرها من البلاد.

فسيولوجيا الجوع وعلاقتها بسكر التمر:

وبالنظر إلى فيسيولوجيا الجوع والشبع، وكذا النظر في مكونات التمر ومحتوياته، أمكن لنا أن نقف على أسرار الهدي النبوي في هذا الحديث الشريف وما انبنى عليه من حكم وآيات. ففسيولوجيا الجوع والشبع تستند إلى قدرة الجسم على تحسس الحاجة إلى تناول الطعام والشراب، وكذا تحسس الاكتفاء منه. وتعتمد آلية الجوع والشبع على التكامل والتنسيق بين ثلاثة أنواع من الوظائف الحيوية والفسيولوجية الجسمية وهي: الجهاز العصبي والجهاز الغدي الهرموني، والتحسس الموضعي للطعام والشراب في الجهاز الهضمي. إذ يحوي الدماغ، وتحديدا الغدة المسماة «تحت المهاد»، على مجسات قادرة على تحسس وقياس مستوى سكر الدم «الجلوكوز» في الجسم، كما يتحسس الدماغ الجوع من خلال سيالات عصبية تصل إليه. ولعل العنصر الأهم في تحديد الشعور بالجوع هو سكر الدم «الجلوكوز». ويمثل سكر الجلوكوز عملة الطاقة في الجسم وهو الشكل الوحيد من الكربوهيدرات القابل للتصريف داخل خلايا الجسم وأنسجته.

ويحصل الجسم على سكر الجلوكوز من خلال طريقين اثنين:

الأول: الطعام والشراب، ويمثل سكر الجلوكوز المصب الذي تنتهي إليه جميع اشكال الكربوهيدرات الغذائية المتناولة. إذ يقوم الجسم بتحويل ما يأخذه من النشا الغذائي المعقد بعد عمليات الهضم والامتصاص إلى سكر الجلوكوز، ويقوم بتحويل غيره من السكريات الأحادية والثنائية إلى سكر الجلوكوز بطريقة أيسر وأسهل. فتكون محصلة تناول أي نوع من الكربوهيدرات هو إنتاج سكر الجلوكوز وتخزينه في الجسم. وتتمثل أشكال سكر الجلوكوز الموجودة في الجسم إما على شكل السكر الحر في الدم، أو على شكل النشا الحيواني «الجلايكوجين» الذي يقوم الجسم بتخزينه في الكبد والعضلات باستخدام الفائض من جلوكوز الدم. وفي حال امتلاء مخازن الجلايكوجين، يقوم الجسم بتحويل الفائض من السكر في الدم إلى مركبات دهنية ويقوم بتخزينها في الأنسجة الدهنية، ويتم ذلك بواسطة مركب الأسيتيل كوأي Acetyl Co-A الوسيط.

الثاني: عمليات تصنيع سكر الدم «الجلوكوز» من غير مصادره السكرية، مثل مركب الجليسيرول المشتق من المركبات الدهنية ثلاثية الجليسيريد Triglycerides، ومركب اللاكتيت Lactate النتائج عن تخمر سكر الجلوكوز في العضلات، وبعض مركبات الأحماض الأمينية المشتقة من بروتينات العضلات والتي تعرف بـ Glucogenic amino acids، أي أن الجسم بمقدوره إنتاج هذا السكر من المصادر الثلاثة للطاقة وهي البروتينات والكربوهيدرات والدهون. ويتم إنتاج سكر الجلوكوز من هذه المركبات غير السكرية عبر عملية حيوية معقدة تعرف بالانجليزية بـGluconeogenesis وتعني «تصنيع سكر الجلوكوز من مصار غير سكرية».

المقصود بالحديث أن غذاء التمر يذهب الإحساس بالجوع

لقد خلق الله -عزوجل- الإنسان وجعل له في جسمه مصادر للطاقة يستعملها خلال حياته ليتزود منها بالطاقة الحيوية الضرورية للقيام بالوظائف الفسيولوجية المختلفة. وتتنوع مصادر الطاقة في جسم الإنسان على النحو التالي (بناء على وزن جسم الإنسان البالغ ٧٠ كغم): سكر الدم Blood glucose (٢٠ غم)، والنشا المعقد (الجلايكوجين) Glycogen والمتمركز في الكبد والعضلات (٢٢٥ غم)، والأحماض الدهنية Fatty acids المتواجدة في الأنسجة الدهنية (النسيج الدهني الأبيض White Adipose Tissue)(١٥ كغم)، والجزء البروتيني من العضلات Muscle proteins(٦ كغم)، وأخيرا الأحماض الدهنية الحرة والجليسيريدات الثلاثية Plasma free fatty acids and plasma triglycerides في الدم (٣,٣ غم).

ويتنوع استخدام الجسم لمصادر الطاقة تلك، وينتقل بين استخدام هذه المصادر حسب الحاجة الفسيولوجية التي تقتضيها طبيعة النشاط والجهد البدني المبذول وحسب درجة الجوع والإطعام للجسم. وقد قسم العلماء مراحل استخدام الطاقة (أي توليدها واستعمالها) في الجسم إلى ثلاث مراحل تعتمد على درجة ومستوى الجوع والإطعام، وأطلقوا عليها مجتمعة اسم دورة الجوع والإطعام Starve- Fed Cycle.

ويعد هرمون الإنسولين الذي تفرزه خلايا بيتا في جزر لانجرهانز في البنكرياس العامل الحيوي المباشر المسؤول عن مجمل عمليات الأيض والتمثيل للسكر في الجسم. حيث يقوم هذا السكر بتنظيم مستوى سكر الدم ضمن حدوده الطبيعية ٦٠-١١٠ ملغم/ديسيلتر، وذلك من خلال آليتين اثنتين هما: الأولى، المساهمة في إدخال سكر الجلكوز من الدم إلى الخلايا، كيما تقوم الأخيرة بالاستفادة منه في عمليات التنفس الخلوي اللازمة إنتاج الطاقة التي تستخدمها الخلايا في القيام بالعمليات الحيوية المختلفة. الثانية، عملية تحويل الفائض من سكر الدم إلى النشا الحيواني المعروف بالجلايكوجين، وتخزينه في مستودعاته في الكبد والعضلات. وتتمحور عمليات إنتاج وتوليد الطاقة في الجسم حول مدى قدرة

الجسم على المحافظة على مستوى سكر الجلوكوز ضمن حدوده ومستوياته الطبيعية في الجسم، وتتم لأجل ذلك العديد من التفاعلات الحيوية التي تنشد تحقيق ذلك الهدف.ففي حالة الصيام أو الجوع، وعندما يحرم الجسم من تناول مصادر الطاقة، يقوم الجسم بتغيير مسارات الايض وإنتاج الطاقة ويلجأ إلى وسائل جديدة تضمن المحافظة على تزويد الجسم بالطاقة وتحديداً الجلوكوز، وتدرء عنه خطر انخفاض مستواه في الدم.

فمن خلال استعراض العمليات الحيوية الأيضية في الجسم، نجدها ترتكز كلها على حقيقة واحدة وهي ضرورة توفير سكر الدم «الجلوكوز» والمحافظة على مستوياته الطبيعية في الدم ودرء انخفاضه عن حدوده الدنيا وعمل ما أمكن من تحليل للبروتينات والدهون في الجسم وتوظيفها في إنتاج الجلوكوز والبحث عن بدائل للطاقة لتوفير جلوكوز الدم؛ كلها تدل دلالة بينة على أهمية هذا السكر ودوره المحوري في صحة الجسم وحيويته.

يساعد على تحليل البروتينات والدهون الضارة وتوظيفها في انتاج الجلوكوز

إن هذا الفهم لدور سكر الجلوكوز في الجسم وأهميته الحيوية يساعدنا في فهم مغزى الحديث الشريف ومرماه (بيتٍ لا تمرٍ فيه جياع أهله). فالتمر يعد غذاءاً مركزاً بالسكريات البسيطة وأهمها الفركتوز، والذي يتحول سريعاً إلى سكر الدم الجلوكوز حالما تم هضمه وامتصاصه. وبالنظر إلى التحليل الكيماوي والتركيب الغذائي للتمر تبين لنا دور هذا النبات الحلو الطعم الطيب المذاق في درء حالة الجوع وعوز السكر، حيث تمثل الكربوهيدرات الكلية حوالي ٧٥٪ من وزن التمر، فإن السكريات البسيطة غير المعقدة وسريعة الهضم والامتصاص تمثل قراية ٦٦٪ منها، ويمثل سكر الجلوكوز أكثر من نصف تلك السكريات (٣٤٪) في حين يمثل سكر الفركتوز البسيط الجزء الآخر (٣٢٪) وهو سرعان ما يتحول إلى سكر الجلوكوز في الجسم.

التمر أسرع مزود للدم بالسكر وللجسم بالطاقة

وعند النظر إلى مؤشر منسوب سكر الدم للتمر، أو ما يعرف بـ Glycemic Index (GI)، وهو مؤشر يظهر مدى قدرة المادة الغذائية على رفع مستوى سكر الدم بعد ساعتين من تناولها، ويستخدم من قبل مرضى داء السكر لمساعدتهم في اختيار الأطعمة المناسبة لهم؛ يتبين لنا بشكل أوضح قدرة التمر على رفع مستوى سكر الدم بشكل سريع، وهو ما ينبني عليه حماية الجسم من أضرار انخفاض سكر الدم لدى الأشخاص الطبيعيين. وتشير جداول منسوب السكر إلى أن التمر هو الغذاء الأكثر قدرة على رفع سكر الدم على الإطلاق من بين جميع أنواع الفواكه والأطعمة الحلوة الطبيعية غير المصنعة، وبقيمة ١٤٧. وفي هذا دلالة وأي دلالة على قدرة التمر على رفع مستوى سكر الدم ومن ثم التخلص من كافة الأعراض السلبية الناجمة عن انخفاضه والمرافقة لحالة الجوع والعوز، والتي ذكرت آنفاً.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يحتمل وجود مركبات أو عناصر أخرى في التمر، عدا السكر، تسهم في التأثير على عملية الجوع والحد من مسارات الأيض الخاصة بها، إذ يعد التمر مصدراً غنياً جداً بالبوتاسيوم، إضافة إلى احتوائه كميات جيدة من الفيتامينات الذائبة في الماء وخاصة النياسين (ب٣).

وما زال العلم الحديث يكشف عن دور وخصائص المركبات النباتية العضوية Phytochemicals وعن أدوارها ووظائفها الفسيولوجية والحيوية المختلفة، والتي قد تكون ذات تأثير وفعل في عملية الجوع وعلى مسارات الأيض وانتاج الطاقة في الجسم، وهو ما يحتاج إلى البحث العلمي لتأكيده والتحقق منه.

وختاماً، فإن الربط المباشر الوارد في الحديث الشريف بين تناول التمر وحصول الشبع، وهو نقيض الجوع وخلافه، يمثل دلالة علمية واضحة وإشارة بيِّنة على سبق نبوي معجز في تقرير حقيقة علمية مفادها: أن التمر وما يحويه من مكونات ممثلة بالسكر يمثل غذاء موائماً لدرء خطر الجوع وما ينبني عليه من نقص لسكر الدم وما يتبعه من تغيرات سلبية ضارة على صحة الجسم، وهو إن دل فإنما يدل على حكمة العليم الخبير الذي علم نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأطلعه على سر من أسرار هذا الكون وما فيه من مخلوقات وآيات أبدعها الله -عز وجل- وأخبرها لنبيه -صلى الله عليه وسلم- تأييداً لدينه وتثبيتاً لأتباعه وتأكيداً على صدق نبوته وثبوت رسالته وسروخ مبدئه، وأنه مرسل من عند الله اللطيف الخبير ﴿*أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ*﴾ [الملك: ١٤] ﴿*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى*﴾ [النجم: ٣-٤].

---

* أستاذ مساعد، قسم التغذية السريرية، كلية العلوم الطبية التطبيقية، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية . وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى

الدكتور صالح محمد عوض*

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إثبات أن الأرض التي ذكرت في القرآن الكريم هي الأرض التي نحيا عليها الآن وليس المقصود منها أي من الكواكب الأخرى. وإثبات عدم ملائمة ظروف الكواكب السيارة والقمر للحياة أي بمعنى أخر انعدام الحياة على غير الأرض، (الحياة المشار إليها في هذا البحث لا تشمل الملائكة والجن والشياطين)، والتأكيد على أن النجوم والكواكب هي زينة السماء الدنيا، وحفظاً لكوكب الأرض، وعلامات دالة للمواقيت والأماكن كما جاء في القرآن الكريم. كما أن أحد أهداف البحث هو الدعوة إلى اكتشاف الحقائق العلمية الرصينة الواضحة في القرآن والتصريح بها مبكراً إي قبل أن يكتشفها غير المسلمين.

المقدمة:

بدأت وقبل عشرات السنين عمليات غزو الفضاء لفك رموزه وسبر أغواره، إذ حاول العلماء جاهدين إيجاد أي نوع من الحياة على سطح القمر أو بعض كواكب المجموعة الشمسية (الكواكب السيارة)، ورغم كل ما حققه العلم من نجاح في مجال دراسة الفضاء إلا أنهم فشلوا في مهمتهم الأساسية التي هي محاولة البحث عن الحياة في كواكب غير الأرض، والبحث عن مخلوقات فضائية كما يزعمون أنها تزور الأرض باستمرار ثم تختفي لما تملكه من تقنيات وحضارة متقدمة.

يزودنا القرآن الكريم بمعلومات دقيقة ومتكاملة عن مراحل الخلق. لقد خلق الله الأرض وما فيها، وخلق أسباب الحياة كاملةً قبل أن يخلق الأنسان كما تشير الآية الكريمة:

﴿ *هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* ﴾ (البقرة –٢٩). خلق الله تعالى سيدنا أدم عليه السلام من تراب والتراب أحد مكونات الأرض: ﴿ *إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* ﴾ (آل عمران: ٥٩)، ﴿ *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ* ﴾ (الروم :٢٠)، إذ أن سيدنا آدم هو أول إنسان خلقه الله تعالى بعد أن حاور الله سبحانه وتعالى ملائكته وأخبرهم بشأن خلق الإنسان الذي سيكون خليفةً في الأرض، وليس في مكان أو كوكب أخر، وكما صرحت بذلك الآية الكريمة الآتية: ﴿ *وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* ﴾ (البقرة–٣٠). على ضوء أهداف مشاريع علماء الغرب وطموحاتهم وما يسعون إليه جاهدين للبحث عن حياة جديدة على كوكب جديد. أحاول من خلال هذا البحث أن أوضح الخطوط العريضة بمفهوم الدين الإسلامي لأسئلة كثيرة منها: هل هنالك حياة على كواكب أخرى، هل توجد حضارة متقدمة لسكان أسموهم بسكان الفضاء أو المخلوقات الفضائية التي تحدث عنها عنها شهود عيان، وتحدثت عنها بعض كتبهم ومجلاتهم، وترزخ أفلامهم عبر القنوات الفضائية للترويج لمثل هذه الأفكار المستوحاة من خيالهم العلمي. ثم هل يمكن نقل الحضارة من أمنا الأرض (التي منها خلقنا وفيها نموت ومنها نبعث أحياءً مرة أخرى) إلى كواكب مجاورة بحثاً عن مصادر الطاقة والتقدم والرقي. من أجل هذا كله، ولغرض فهم جميع جوانب الوضوع ذات العلاقة سوف أستعرض أهم خصائص القمر والكواكب وطبيعتها وظروفها مستلاً معظم المعلومات من تقارير علماء الغرب ونشرياتهم ووكالاتهم الفضائية، ومقارناً إياها بما ورد قي قرآننا الكريم قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، لأوفر عليهم عناء ومشقة المغالاة في التفكير.مع التأكيد عدم شمول الملائكة والجن والشياطين بهذا البحث.

الخصائص الطبيعية وظروف القمر وكواكب المجموعة الشمسية:

١-القمر The Moon

يبلغ قطر القمر ٣٤٨٤ كم، وتبلغ كتلته ١٨/١ من كتلة الأرض، إذ تبلغ قوة جذبه ٦/١ قوة جذب الأرض. أي أن الشخص الذي وزنه ٦٠ كغم على سطح الأرض يصبح وزنه ١٠ كغم على سطح القمر. من هنا يتبين عدم كفاءة حقل جاذبية القمر في تكوين غلاف غازي حوله. يدور القمر أهليليجياً حول الأرض ويكمل دورة واحدة حول نفسه خلال شهر قمري واحد يستغرق ٢٩,٥٣ يوماً. وهذا يعني أن اليوم القمري يساوي ٢٩,٥٣ يوماً من أيامنا، أي أن معدل طول فترة النهار تساوي ١٤,٧ يوم وكذلك الليل. أثبت رواد الفضاء انعدام الماء على سطح القمر وانعدام الغلاف الغازي، يبلغ معدل درجة حرارة النهار على سطح القمر١٠٧ درجة مئوية، فيما يبلغ معدل درجة حرارة الليل -١٥٣ درجة مئوية. في ظروف إختزال الجاذبية إلى سدس جاذبية الأرض مع انعدام الأوكسجين والغلاف الغازي، وانعدام الماء، وتطرف درجات الحرارة بين الليل والنهار ما بين الغليان وتحت الإنجماد بكثير، فضلاً عن التضاريس غير المعهودة على سطح الأرض، إذ أن سطحه عرضة لضربات نيزكية شديدة. يرجح استحالة الحياة على سطح القمر.

٢-عطارد Mercury

هو أقرب الكواكب إلى الشمس، وأصغرها حجماً، يكمل دورانه في مداره حول الشمس أسرع من جميع الكواكب الأخرى، إذ يستغرق ٨٨ يوماً فقط وهذا يعني إن سنته تساوي ٨٨ يوماً ، ويحتاج إلى ٥٩ يوماً ليكمل دورته حول نفسه. من هنا يتبين إن يوماً واحداً على سطح عطارد يعادل ٥٩ يوماً من أيامنا المعروفة. بسبب قلة جاذبيته فهو لا يمتلك غلاف غازي، تغير ويتغير سطحه بسبب القصف النيزكي الشديد والمستمر، سطحه مرصع بالفوهات البركانية الكبيرة والحفر النيزكية العملاقة المخيفة. تبلغ درجة حرارة سطحه في جانب النهار ٤٦٧ درجة مئوية، فيما تنخفض في جانب الليل لتصل إلى -١٨٣ درجة مئوية. من هنا يتضح استحالة الحياة على سطح هذا الكوكب.

٣-الزهرة Venus

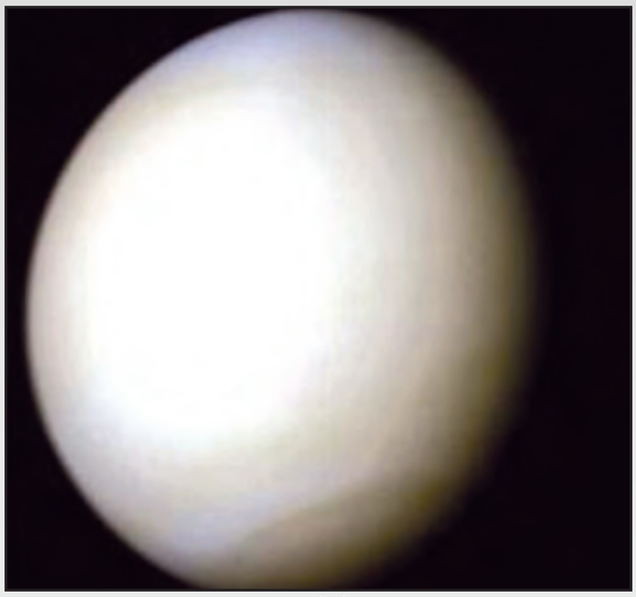

صورة لكوكب الزهرة

تمتلك كتلة أكبر من الارض بقليل، يحيط بها غلاف غازي كثيف عالي الأنعكاسية، لذلك فهو يعكس ضوء الشمس الساقط عليه بنسبة عالية، إذ لا يمكن مشاهدة سطحها بشكل مباشر بسبب كثافة الغلاف الغازي الغيمي المحيط بها. هي أقرب جيران الأرض وتشبه الأرض إلى حد ما من حيث الحجم والكتلة والكثافة. تدور عكس دوران الارض بسرعة بطيئة جداً، فهي تكمل دورانها حول نفسها في ٢٤٣ يوم من أيامنا، لذلك فأن يوم الزهرة يساوي ٢٤٣ يوم

من أيامنا، فيما تكمل دورانها في مدارها حول الشمس في ٢٢٣ يوم من أيامنا، أي أن سنة الزهرة تساوي ٢٢٣. وهذا يبين أن يوم الزهرة أطول من سنتها، وهذا لا يتفق مع ناموس الحياة. يتكون سطحها من تضاريس غاية في الوعورة، إذ يتشكل من السلاسل الجبلية الشاهقة والوديان العميقة الخانقة والفوهاة البركانية والحفر النيزكية. يتكون غلافها الغازي من ثاني أوكسيد الكربون بنسبة ٩٧٪ ومن النتروجين

والهليوم بنسبة ١-٢٪، والباقي يمثل الهليوم والهيدروجين والأركون وقليل جداً من بخار الماء والأوكسجين وبخار حامض الكبريتيك. يبلغ الضغط الجوي على سطح الزهرة بقدر٩٠ مرة من الضغط الجوي على سطح الأرض. تبلغ حرارة سطح الكوكب ٤٥٧ درجة مئوية. إن استحالة الحياة واضحة هنا.

٤-الأرض The earth

الأرض هو كوكب الحياة الأوحد، تكمل دورتها حول نفسها خلال ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة، وتكمل دورانها في مدارها حول الشمس في ٣٦٥,٢٦ يومًا. أي أن يومها يساوي ٢٤ ساعة تقريباً وسنتها تساوي ٣٦٦ يوماً تقريباً. في الوقت الذي تدور فيه الأرض حول الشمس في مدار بيضاوي فأنها تدور حول نفسها حول محور مائل بدرجة ٢٣ درجة و٢٧ دقيقة، وهذا ما أكسبها تنوع مناخي لطيف. لها مجال جذبي معتدل فهو يمسك بغلاف غازي فيه كل أسباب الحياه وحمايتها، حيث يتولد المجال المغناطيسي بفعل دوران لب الأرض الداخلي الصلب المكون أساساً من الحديد الذي يدور ضمن لب الأرض الخارجي السائل . تشكل المياه ٤/٣ من مساحة سطح الأرض تقريباً والباقي يمثل اليابسة. يبلغ معدل درجة الحرارة على سطح الأرض ٢٥ درجة مئوية، إذ أن هذه الدرجة منعشة للحياة مع وجود التنوع الحراري في أرجاء الأرض المختلفة والتنوع الفصلي والتنوع بين الليل والنهار، والتنوع البيئي، وكلها من أسباب الحياة وليس من أسباب فنائها. من أبرز مقومات الحياة وديمومتها هو الألفة والتناغم الطبيعي بين الحيوان والنبات والجماد وفق قوانين الهداية: ﴿*قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى*﴾ (طه:٥٠). هذا التناغم يمكن إبرازه على سبيل المثال لا الحصر بدورة الأوكسجين، وثاني أوكسيد الكربون، والماء في الطبيعة.

وهي على العكس من بقية الكواكب. بما أن الجمال من العناصر المهمة في الحياة، إذ ذكره الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿*وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ*﴾ (النحل:٦)، ونحن نعيش على سطح الأرض كم بوسعنا أن ندرك جمال المخلوقات من حولنا، إذ نستشعره ونحس به ونراه على سطح الأرض في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وفي كل عناصر البيئة الطبيعية، فضلاً عن ما بنته الحضارة الإنسانية وعمرت بها الأرض. أما من الفضاء فإن الأرض تبدو بلون أزرق موشح بالبياض بسبب مياه المحيطات وغيوم بخار الماء. لا يوجد مثل هذا الجمال على سطح أي من الكواكب التي وطأها الإنسان، لكن الكواكب في غاية الجمال حين تنظر اليها من الأرض لا حين تطأ سطحها، لأنها زينة السماء الدنيا إذ أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة: ﴿*وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ*﴾ (الملك:٥). من هنا يتبين أن الأرض هي المقر المفضل والوحيد للحياة الدنيا وأن كل ما في الكون مسخر بمشيئة الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان وفائدته، وليودي رسالته التي خلقه الله من أجلها.

٥-المريخ Mars

يمتلك كتلة أكبر من كتلة الأرض بقليل، لكن كثافته أقل من

صورة لكوكب المريخ

كثافة الأرض، مغطى بالجليد عند منطقة القطب، إذ رصدت أحد التلسكوبات هذه المناطق البيضاء التي تنمو وتكبر وتذوب وتتكسر بحسب الظروف المناخية الفصلية. للمريخ غلاف غازي غير سميك تبلغ كثافته ١/١٠٠ من من كثافة الغلاف الغازي المحيط بالأرض، يتكون من غاز ثاني أوكسيد الكربون بالدرجة الأساس فضلاً عن وجود الأركون الذي يشكل نسبة ٢٠٪، ونسبة قليلة جداً من النتروجين وبخار الماء. يسمح غلافه الغازي بنفاذ الإشعاعات الكونية المختلفة ومنها فوق البنفسجية التي تصل إلى سطحه. يكمل دورانه حول نفسه في ٢٤ ساعة، أي أن يومه يساوي يومنا على الأرض. يكمل دورانه في مداره حول الشمس في ٦٨٨ يوم من أيامنا، إي أن سنة المريخ تعادل ٦٨٨ يوم من أيامنا. يحلم العلماء بوجود الحياة على سطح المريخ ويأملون ذلك. إذ فسروا الصور التي أظهرت تغيرات لونية مع الفصول على أنها نباتات. وفسروا

المناطق البيضاء على أنها ثلوج، وفسروا المناطق البرتقالية على أنها صحاري. ولكن بالحقيقة هذا لا يكفي للحياة حتى

وان كان تفسيرهم دقيقاً وصحيحاً، لأن معوقات الحياة أكثر من مسبباتها على سطح الكوكب، فمثلاً درجة الحرارة على سطح المريخ –٥٠ درجة مئوية. إي أن كل شيء على سطحة متجمد. ويزعم العلماء أن الثورات البركانية تسبب ذوبان الثلوج ورفع درجة الحرارة نسبياً. لكن الحقيقة نحتاج إلى ثورات بركانية في معظم أرجاء المريخ لتعديل حررة السطح، وهذا بدوره يؤدي إلى تلوث الكوكب بالغازات والأبخرة السامة المنبعثة مع الحمم البركانية، ومن ثم قتل الحياة إن وجدت. أشارت بعض الدراسات إلى وجود حياة بدائية، ووجود مستحاثات ضمن سطح المريخ إلا أن وكالة الفضاء الأمريكية ناسا (NASA) نفت صحة مثل هذه النتائج في عام ١٩٩٦.

٦-المشتري Jupiter

هو أكبر كواكب المجموعة الشمسية، إذ تفوق كتلتة كتلة الأرض بمقدار ٣١٨ مرة، لكن كثافته أقل من كثافة الأرض. يكمل دورته حول نفسه في ٩,٦ ساعة بسبب سرعة دورانه الشديدة، وهذا هو طول اليوم على المشتري، وهو أقصر من يومنا المعروف. يكمل المشتري دورانه في مداره حول الشمس في ١١,٨٦ سنة، وهذه هي سنة المريخ. من هنا نستنتج إن عدد أيام سنة المشتري هو ١٠٨٥٢ يوم من أيام المشتري، وأن سنته تساوي ٤٣٤١ يوماً من أيامنا. التركيب الداخلي للمشتري غير معروف، توجد العديد من الطفوح البركانية على سطحه شاهقة الارتفاع تصل إلى ٢٥٠ كم علواً. رصد أكثر من ١٠٠ بركان نشط على سطحه. معظم سطحة مغطى بغازات غيمية الهيئة، كثيفة القوام، ملونة. تبلغ درجة الحرارة على سطحه –١٣٠ درجة مئوية. معظم غلافه الغازي هو هيدروكربون (إيثان وأستلين).

٧-زحل Saturn

ان كثافة هذا الكوكب أقل من كثافة الماء، إذ تبلغ (٠,٧) غم/سم٣، وكتلته تفوق كتلة الأرض ٩٥ مرة. معظم الكوكب يتكون من غاز الهيدروجين، الذي يحاط بغلاف غازي غني بالهيدروجين، ويحتوي على كتل ضخمة من الغيوم التي تدور بسرعة مكونة عواصف على سطح الكوكب.

صورة لكوكب المشتري

يحزم الكوكب حلقة من جزيئات ثلجية ضخمة الحجم. المناطق المحيطة بخط إستواءه متكونة من الأمونيا المنجمدة. يكمل دورته في مداره حول الشمس في ٣٠ سنة ، وهذا يعني أن سنة زحل تساوي ٣٠ سنة من سنواتنا المعروفة. سريع البرم، إذ يكمل دورتة حول نفسه خلال ٩,٦ ساعة وهذا هو مقدار يومه. من هنا نستنتج أن عدد أيام سنة زحل تساوي ٢٦٩٥٦ يوم. سطحة قارص البرد، إذ تبلغ درجة حرارة سطحه –١٨٥ درجة مئوية.إن هذه الظروف تؤكد إستحالة الحياة على سطح زحل.

صورة لكوكب زحل

٨-أورانوس Uranus

تفوق كتلته ١٥ مرة كتلة الأرض. يدور بإتجاه معاكس لدوران

الكواكب الأخرى، إذ ينفرد مع كوكب الزهرة في هذه الصفة وذلك لأن محور دورانه يميل بزاوية ٩٨ درجة عن الخط الشاقولي. سريع البرم، إذ يكمل دورانه حول نفسه خلال ١١ ساعة، لذا فأن طول يومه هو ١١ ساعة. يكمل دورانه في مداره حول الشمس خلال ٨٤ سنة، وهذا يعني أن سنته تساوي ٨٤ سنة من سنواتنا المعروفة. من هنا نستنتج أن عدد أيام سنة أورانوس تساوي ٧٣٧٨٦ يومًا. يتالف غلافه الغازي بصورة رئيسة من الميثان، إذ أن الغيوم الكثيفة على سطحه ما هي إلا عبارة عن ثلوج متراكمه من الميثان. تهب عواصف عملاقة وسريعة جداً على سطح الكوكب تحيط بالكوكب حلقة نحيفة ، وضيقة ، معتمة اللون. سطح الكوكب بارد ومتجمد، حيث تبلغ درجة الحرارة على سطحه –٢٠٠ درجة مئوية. فلو وجد الأوكسجين على هذا الكوكب لاحترق الكوكب من أول اصطدام نيزكي لأن غلافه الغازي عبارة عن غاز الميثان. إن هذه معلومات الكوكب وحرارة سطحه البالغة –٢٠٠ درجو مئوية تتحدث عن نفسها مشيرةً إلى استحالة الحياة.

٩-نبتون Neptune

أكبر من الأرض، إذ تفوق كتلته ١٧ مرة كتلة الأرض. تبلغ كثافة ١,٦ من كثافة الماء. سريع البرم، يكمل دورانه حول نفسه خلال ١٤,٤ ساعة أي أن يومه ١٤,٤ ساعة. أما دورته حول الشمس فيكملها في ١٦٥ سنة، لذا فإن عدد أيام سنة نبتون يساوي ١٠٠٦٥٠. له غلاف غازي يتكون معظمه من الميثان، سطحه شديد البرودة إذ تبلغ حرارته –٢١٥ درجة مئوية. إن مصير أمل العثور على الحياة على سطح هذا الكوكب على ضوء هذه المعلومات أمرا مستحيلاً.

١٠-بلوتو Pluto

هو أصغر الكواكب السيارة، إذ يبلغ حجمه ٣/٢ من حجم القمر. يتوقع العلماء أن له غلاف غازي قليل الكثافة يتكون معظمه من الميثان. سطحه يتكون من المثان المتجمد، تبلغ درجة حرارة سطح الكوكب –٢٣٠ درجة مئوية. بلوتو الكوكب الوحيد الذي يدور في أكبر مدار أهليليجي لا يقع في المستوى الذي يضم مدارات كواكب المجموعة الشمسية، حيث ينحرف ١٧ درجة. إن أمل اكتشاف الحياة على هذا الكوكب مطابق لأمل الحياة في أخوانه الكواكب الأخرى.

ملخص الخصائص والظروف الطبيعية لكواكب المجموعة الشمسية

يمكن وصف الظروف الطبيعية على سطح القمر والكواكب السيارة بكونها ظروفاً غير مألوفة وقاسية بل أنها مميته وقاتلة، حيث أن بعض هذه الكواكب يتمتع بحقل جذبي ضعيف ينتج عنه انعدام للغلاف الغازي الذي يسمح للأشعاعات الكونية بالوصول إلى السطح مثل الأشعة فوق البنفسجية، كما يلعب دور كبير في تنظيم مقدار الضغط الجوي بالتناغم مع مقدار الجاذبية، وبعضها تمتاز بحقل جذبي شديد وغلاف غازي كثيف ذا طبيعة غيمية تعيق الرؤيا والحركة. كما يتميز الغلاف الغازي في بعض الكواكب السيارة بتكونه من غازات خانقة أو سامة كالأمونيا والميثان والأستيلين والهيدروجين والنتروجين وبخار حامض الكبريتيك وثاني أوكسيد الكربون وثاني أوكسيد الكبريت، ومن بين كل هذه المكونات لم نجد ذكراً واضحاً لوجود الأوكسجين والماء على الكواكب الأخرى، علماً انهما عنصرا الحياة الأساسيين: ﴿*أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ*﴾ (الأنبياء:٣٠).

كما أن اختلاف نسب وجود هذه المكونات يعد معوقاً للحياة حتى في حالة افتراض وجود الأوكسجين والماء، هذا فضلاً عن العواصف شديدة السرعة الكثيفة القوام التي تهب على سطح بعض الكواكب السيارة، إذ تعد ظاهرة مدمرة بحد ذاتها. أن التضاريس غير المألوفة كالسلاسل الجبلية الشاهقة الشديدة الوعورة، والوديان العميقة، والحفر النيزكية العميقة الممتدة مئات الكيلومترات، والمخاريط والفوهات البركانية المنتشرة، والثورات البركانية المستمرة في بعض الكواكب السيارة هي طبيعة تتنافى مع منطق المعيشة. تتميز الكواكب السيارة القريبة من الشمس مثل عطارد والزهرة بارتفا ع حرارة السطح إلى ما يفوق الغليان، بينما تتميز الكواكب البعيدة عن الشمس مثل المريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو بانخفاض شديد في درجات الحرارة إلى ما دون الصفر بعشرات ومئات الدرجات، هذا فضلاً عن الفارق الكبير في درجات الحرارة بين ليل ونهار الكوكب. إذا ما نظرنا إلى طبيعة اليوم في كل كوكب من ناحية طول نهاره وليله

فإننا نجد في بعض الكواكب أياماً لا تتجاوز ١٠ ساعات كما في المشتري وزحل، بينما نجد أيامنا على سطح كواكب أخرى طويلة جداً كما في عطارد الذي يبلغ طول يومة ٥٩ يومًا من أيامنا، وفي الزهرة التي يبلغ طول يومها ٢٤٣ يوم من أيامنا، هذا فضلاً عن الطبيعة غير المألوفة على سطح الكوكب إذ يكون اليوم أطول من السنة كما في كوكب الزهرة كما أسلفت. إذ أن طول يومها يساوي ٢٤٣ يوم، أما سنتها فتعادل ٢٢٣ يوم من أيامنا المعروفة على الأرض، حيث يعني هذا حدوث جميع التقلبات الفصلية في يوم واحد، وهذا يخرق القوانين المنطقية للحياة التي أوجدها الله لنا. بعض الكواكب محاطة بغازات سريعة الاحتراق مثل الهيدروجين والميثان والأستيلين. (...)

خاتمة

بعد استعراض الحقائق العلمية التي توصل إليها علماء الغرب من أجل العثور على الحياة خارج كوكب الأرض والتي كلها باءت بالفشل، واستعراض بعض آيات القران الكريم. تبين أن الكرة الأرضية هي كوكب الحياة الأوحد الذي تتوفر فيه عناصر الحياة وسبل العيش على أفضل وجه. وأن النجوم والكواكب غير صالحة للحياة، ولا يمكن تطبيق أهم العبادات عليها، بل هي زينة السماء الدنيا، التي هي أقرب سماء إلى الكرة الأرضية، حيث قال بعض رواد الفضاء في وصفهم لسطح الكواكب بأنه مخيف، وهذا دليل على أن الكواكب تبدي زينتها من بعيد في إنارتها للأرض وعكسها لضوء الشمس، وتفقد هذه الزينة عند النزول على سطحها، وكما أخبر القرآن بذلك. وأن كل ما نراه من كواكب ونجوم على مد بصرنا يقع ضمن نطاق السماء الدنيا، ﴿*السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ*﴾ (الذريات:٤٧)، وهذا يشير إلى سعة الكون. أن الكواكب هي دروع واقية وحافظة للحياة على الأرض وأنها تؤدي مهمتها في التوقيت والاهتداء وكما أخبر القرآن الكريم. وما هذا كله إلا بعض نعم الله علينا. فلنتأمل كل شيء حولنا، فهو مسخر لنا كما تنص الآية الكريمة: ﴿*أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ*﴾ (لقمان:٢٠).

إن هذا البحث لا يعترض على دراسة الفضاء لأن قرآننا الكريم هو أول من صور قوانين الفلك وسعة الكون ونشوءه، وأول من دعا إلى النفاذ إلى الفضاء بحسب الآية الكريمة: ﴿*يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ*﴾ (الرحمن:٣٣). إنما هو محاولةلإبراز حقائقعلمية واضحة في القرآن الكريم، فلنقولها نحن المسلمون قبل أن يتفوه بها غير المسلمون لسببين هما :عل تأثيرها يكون أقوى، ولأننا نحن المسلمون لدينا كتاب الله (القرآن الكريم) فيه تبيان لكل شيء: ﴿*وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ*﴾(النحل: ٨٩) .إذ لا يخفى علينا جميعاً كم من الحقائق العلمية في الطب والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والنبات والوراثة والأجنة وغيرها، بل النظريات والقوانين التي تدرس الآن في جامعات عالمية رصينة والتي دلائلها واضحة في قرآنا العظيم، والتي لم يصرح بها المسلمون إلا تباعاً بعد أن يكتشفها غير المسلمون ثم يكون دورنا تعليقاً لاحقاً بعد اكتشافهم لا سابقاً لاكتشافهم. يؤكد هذا البحث وبقوة على استحالة نقل الحضارة من الأرض وهجرها إلى أي من الكواكب الأخرى، كما يشير إلى عدم وجود مخلوقات فضائية تغزونا من خارج الأرض لأن القرآن لم يصرح بذلك. أن غزو الفضاء لغرض استزادة العلم النافع هو مشروع واقعي وفي غاية الأهمية، ولكنه لا يجدي نفعاً إذا كان باتجاه هجر الأرض والبحث عن كوكب أخر لعمرانه والعيش عليه، فهذا هدر للجهد والمال وإضاعة للوقت، لأن الله تعالى قال:﴿*مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى*﴾ (طـه:٥٥). أي أننا خلقنا من الأرض وفيها نعاد إي نموت وندفن ومنها نخرج مرةً أخرى بعد أن ينفخ في الصور في يوم الوعيد ﴿*وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ*﴾(يس:٥١).

والله الذي يملك مفاتح الغيب إعلم: ﴿*وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ*﴾ (الأنعام:٥٩). والْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

* أستاذ الجيوكيمياء في قسم علوم الأرض – كلية العلوم – جامعة بغداد – العراق. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

الرحمن علم القرآن

أ.باسم وحيد الدين علي

٢٠-الإعجاز فيما تحقق لاحقاً من أنباء

يقول الله تعالى في سورة (ﷺ): [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ [٨٧] وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [٨٨]]. وسنعرض في هذا العدد بعضاً مما وعدنا الله تعالى به، فصار الناس يعلمون به حيناً بعد حين إعتباراً من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمما انكشف على مر السنين، الموقع الذي رست فيه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان، وذلك على جبل الجودي الواقع في إقليم كردستان العراقي على بعد بضعة أميال من الحدود العراقية التركية. وظهرت بوضوح أبعاد السفينة وشكلها الانسيابي وألواحها الخشبية والدسر أي المسامير الحديدية الغليظة. قال تعالى عنها في سورة القمر: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ [١٣] تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ [١٤] وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ [١٥]﴾.

وقد ظهرت هذه الآية على أثر زلزال ضرب المنطقة وحرك الأرض وأبرز السفينة قبل قرن من الزمن، ولا تزال منذ ذلك الحين ظاهرة للعيان.

ومن آيات الله تعالى فيما كشفت عنه الأيام جثمان فرعون، قال الله تعالى عنه في سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ [٩٢]﴾.

وتبين أن فرعون موسى يدعى رمسيس الثاني ويعود زمن حكمه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولم يعثر عليه إلا في العام 1872 ميلادي، أي بعد ثلاثة آلاف سنة، ورقد منذ العثور عليه في المتحف المصري ببولاق. وبنتيجة الكشوف والتحاليل المخبرية على الجثة ظهرت منها دلائل كثيرة ودقيقة تثبت أنه قضى غرقاً وأن في رئتيه آثار وحل البحر، بما يذكرنا بحديث جبريل لسيدنا محمد عليهما السلام عن قصة غرق فرعون حين يقول (فيما رواه الترمذي عن ابن عباس): « يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر (أي وحله) فأدسه في فيه(أي في فمه) مخافة أن تدركه الرحمة « . وصدق محمد وصدق جبريل عليهما السلام وصدق الله العظيم القائل في سورة النمل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [٩٣]﴾.

وما أهمية حديث دار بين فرعون وهامان رئيس عماله، حتى يذكره الله تعالى في القرآن الكريم، بقوله في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٣٨]﴾.

وتدور الأيام لنكتشف مغزى استعادة كلام فرعون لهامان: أن حجارة الأهرامات ليست صخوراً كلها وخاصة عندما يعلو البنيان بل هي مزيج من طين كلسي طبخ على النار وصب في قوالب كبيرة. ومن إعجاز القرآن الكريم ما جاء في الإخبارعما سيأتي من الذلة والمسكنة اللاحقتين ببني إسرائيل إلى يوم القيامة.

فمن يتابع أخبار بني إسرائيل في الحقب التاريخية الوسيطة والحديثة، يجد أنهم تعرضوا للاضطهاد والتنكيل أينما حلوا بسبب تعنتهم وجهالتهم وسوء نيتهم تجاه الشعوب والأمم التي يجاورونها، ويكون التهجير والطرد من نصيبهم أينما حلوا، سواء في إسبانيا أو ألمانيا أو روسيا أو في بلاد أوروبا الشرقية. وما ذلك إلا لحكم الله تعالى فيهم بسبب سوء فعالهم فقال في سورة آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ [١١٢]﴾.

ولفرط تعنتهم وكفرهم توعدهم الله تعالى بالعذاب المستمر وبتشتيتهم في أصقاع الأرض فقال في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ [١٦٧] وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [١٦٨]﴾.

ومما جاء فيهم من أخبار مسبقة قوله تعالى عنهم في سورة الحشر: ﴿ *لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ*[١٣] *لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ*[١٤] ﴾.

والعجيب أن غالبية الإسرائيليين ملحدين لا يخافون الله بل يخشون الناس، وما مشاهد المستوطنات المحصنة والجدار العازل المسلح في فلسطين المحتلة إلا إشارة جديدة إلى دقة هذه الآية الجليلة.

وكمثال بسيط آخر على ما تحقق من آيات علمية، يعرف المطلعون على علوم الصواريخ أنها تتألف من طبقات بعضها فوق بعض، كلما نفد الوقود من طبقة لفظها الصاروخ، بينما يرقد رواد الفضاء في الطبقة العليا منه. قال تعالى في سورة الانشقاق مقسماً ومؤكداً: ﴿ *فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ* [١٦] *وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ*[١٧] *وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ*[١٨] *لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ*[١٩] ﴾.

وإذا كانت الأنباء المذكورة آنفاً قد تحقق حصولها، فإن أخباراً أخرى لا تزال قيد الحدوث، وهي مستمرة في تحدي المنكرين والمستكبرين:

ومنها قوله تعالى في سورة البقرة: *[وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ*[٢٣] *فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ*[٢٤] ﴾. وهو دليل مستمر أعجز الخلق كافة عن تقليد القرآن ومحاكاته ماضياً وحاضراً.

ومن الآيات المستمر حصولها إخبار القرآن بالتمكين للمسلمين، ونصرهم وتأمينهم، وذلك في قول الله تعالى في سورة النور: ﴿ *وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ*[٥٥] ﴾. وهو وعد مستمر لكل قوم آمنوا والتزموا. ومن يستعرض تاريخ المسلمين يجد أنهم اكثر أمم الأرض تعرضاً للهجمات والغزوات ومع ذلك تبقى رايتهم مرفوعة وشعوبهم محفوظة بفضل من الله ونعمة.

كما يذكر الله تعالى أسباب تفرق أهل الكتاب، فيقول في سورة البينة: ﴿ *وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ*[٥] ﴾.

ويجعل أهم أسباب تفرقهم عدم تصديقهم بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، فيقول في سورة البينة: ﴿ *وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ*[٤] ﴾.

ويعرف عن هذه البينة أي الواضحة بقوله: ﴿ *رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً* [٢] *فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ*[٣] ﴾. ثم يتعهد في سورة المائدة أن تبقى التفرقة والبغضاء بين فرقهم إلى يوم القيامة فيقول: ﴿ *فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[١٤]* ﴾.

ومن الآيات البينات تعهد الله تعالى بأن يجعل أهل الكتاب أعلى درجة من الكفار الملحدين، إن على مستوى الحضارة أو الثروة أو السلطة فقال تعالى مخاطباً السيد المسيح عليه السلام: ﴿ *وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[٥٥]* ﴾ (آل عمران). ومن يستعرض مجريات الأحداث عبر التاريخ يجد أن الله تعالى لم يجعل للشيوعية ولا للنازية ولا للدكتوريات الملحدة سبيلاً على الدول التي تجاهر وتدين بالمسيحية، مصداقاً لما جاء في ذلك من آيات في القرآن الكريم.

وفي الخلاصة، يتبين لنا بعد استعراض الأحداث التي ذكرها القرآن الكريم وصارت تتحقق على مر السنين والقرون، حتى قيام الساعة، أنها رسائل لكل عصر بما يناسبه وبما يصلحه، تثبت أن القرآن الكريم صالح لكل عصر مهما ارتقت حضارته.

ثم إن تعزيز الثقة به مع استمرار ظهور الآيات، توصل إلى الصدق بما لا بد أنه آت لا محالة وهو أحداث قيام الساعة بأشراطها قبيل فوات الأوان، ثم ببدء قيامها حين لا ينفع بعدها إيمان من لم يكن قد آمن من قبل. كما حصل لفرعون بعد أن أدركه الغرق والموت، فقال الله تعالى عنه في سورة يونس: ﴿ *حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ*[٩٠] *آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ*[٩١] ﴾.

جعلنا الله من الذين يستمعون فيتعظون فيقتدون ويعملون.

الكلمة « المفتاح » في الحديث الشريف

من الإعجاز البياني والروحي في الحديث الشريف

العميد الركن المتقاعد
الدكتور محمد فرشوخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. وبعد

يقول الله تعالى في كتابه العزيز عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى[٣] إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[٤]﴾ (سورة النجم).

ويقول المصطفى عن نفسه: «أوتيت جوامع الكلم»[١]، فيما فضله الله تعالى على سائر الأنبياء.

وسأل الصحابة الكرام النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله مالك أفصحنا لسانا وأبيننا بيانا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن العربية اندرست فجاءني بها جبريل غضة طرية كما شُقّ على لسان إسماعيل عليه السلام»[٢].

وجوامع الكلم فيما شرحه أهل العلم تعني فيما تعنيه، وقبل كل كلام، القرآن الكريم الذي هو كلام الخالق المعجز جلّ وعلا، لكننا هنا قصدنا المقارنة فيما بين كلام الخلق من دون الخالق سبحانه، نجد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خصائص متميزة، فقد صيغت معانيه الغزيرة والعميقة بألفاظ قليلة، وهو كلام ذهب مضرب الأمثال لحسنه وبيانه وبلاغته ورشاقته إضافة إلى حكمته وأحكامه، وفي ذلك يقول الإمام البخاري: (بلغني في جوامع الكلم إن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك)، أي أن الكلام القليل له معان كثيرة ومرام متعددة. ومن جوامع الكلم ما لم يعرفه أحد من قبل لا في لغة العرب ولا في غيرها ومنه ما تعلمه الصحابة الكرام والمسلمون عامة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في مناجاة الله عز وجل. ومنه كذلك إجمال طلب الخيرات والاستعاذة من المعاصي والمنكرات.

وفي فيض القدير: «أوتيت جوامع الكلم»، أي أوتيت (ملَكةً أقتدر بها على إيجاز اللفظ، مع سعة المعنى، بنظم لطيف، لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه، ولا التواء يحار الذهن في فهمه، فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلا ومعناها أسبق إليه)[٣]. أي معنى بيّن مقنع يسابق الكلمة إلى العقل.

وللحديث الشريف علومه، روايةً ودراية، كعلم رواة الحديث وعلم روايته وعلم قبول الحديث ورده وعلوم المتن وعلوم السند...

والحديث الشريف الصحيح يُعرَف عقلاً، من توافقه مع كتاب الله عز وجلّ، كيف لا والنبي المصطفى هو المكلف بتبليغ كتاب الله للناس وشرحه وتفصيله. فلا سبيل إلى التناقض.

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَلا إِنَّ رَحَى الإِسْلام دَائِرَةٌ، قَالَ : فَكَيْفَ نَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : اعْرِضُوا حَدِيثِي عَلَى الْكِتَابِ، فَمَا وَافَقَهُ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا قُلْتُهُ»[٤].

كما أن للحديث الشريف أثر روحي يخترق القلوب مع الأسماع، وهذا من جوامع الكلم أيضاً حيث أن لتعابير المصطفى صلى الله عليه وسلم سمة مميزة ونكهة محببة خاصة به، يعرفها أهل الدراية في علم الحديث والحفّاظ والدعاة وأولئك الذين أحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وعشقوا سيرته وكلامه.

وكأن لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر روحي يشير إليه ويدل عليه، فمن صدق في حبه وفي اتباع نصحه إنجذب إلى الصحيح منه فينشرح له صدرا، ويتفتح به عقلا، ويترسخ في ذهنه كرماً من الله وفضلا.

ولمن عاش مع الأحاديث الشريفة، وعاش فيها، وتخلق بما قدر عليه منها، وأحب قائلها صلى الله عليه وسلم، فتح معجز آخر هو بيت القصيد في بحثنا هذا.

وهو «**الكلمة المفتاح**» في الحديث الشريف، فكلام النبي صلى الله عليه وسلم على بلاغته وفصاحته وجمال بيانه وإعجاز علمه، يزيد على سائر كلام الناس، بأن في كل حديث شريف، على الغالب طبعاً، كلمة واحدة على الأقل أو عبارة موجزة، لا نجدها إلا في حديث واحد دون سواه.

وبهذه الكلمة أو العبارة الفريدة يصبح كل حديث منفرداً في لفظه ومعناه. متميزاً بوزنه وموسيقاه، ومحبباً إلى الناس بمغزاه.

كما يسهل عند أهل الدراية الاستناد إليه وتذكره عند الحاجة إليه. وعلى سبيل المثال نذكر بعض ما نصبوا إليه:

فلئن قلت: «من يرد الله به خيرا» لأجابك السامعون بتتمة الحديث:«يفقهه في الدين». ولن تجد في أي حديث آخر مثل تلك العبارة حرفياً.

ولو قلت: «بُنِيَ الإسلام» لأتم من حولك: «على خمس...» وذكروا أركان الإسلام.

وحتى في الأحاديث الطوال تبقى **الكلمة المفتاح** مفتاحاً لتذكرها، فإن سمعت «فليحمد الله» تتذكر الحديث الشريف الذي ينتهي بعبارة «فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

وحتى في الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، قلما تكررت عبارة في دعائه الشريف ولو ذكرت «**كلمة مفتاح**» من أي دعاء وما أكثر هذه الكلمات لأتمها الناس من حولك ولرددوا بقيتها كمثل «طرفة عين»، فيقولون: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»، أو إن دعوت: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي»، لتابع الناس معك: » وقلة حيلتي وهواني على الناس ....». ولئن سمعت: «ما قدّمت وما أخّرت»، لتذكر المؤمنون كامل الدعاء: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت ما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير».

والعجيب في مثل هذه الكلمات أنها إذا استعملت اكثر من مرة فإنه يدخل عليها شيئ من الصرف أو النحو بما يميزها عن سواها فتبقى لكل حديث فرادته وميزته وغايته: فإن قلت «الكيّس» (معرفة)، لأتممت «من دان نفسه وعمل لما بعد الموت».. ولئن قلت «كيّس» (نكرة) لأتم الناس حديثاً غيره:»المؤمن كيّس فطن».

ولئن قلت «التقوى ههنا» لأتمها من يسمعك: « ..بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وإذا سمعت عبارة «عش ما شئت» تذكرت حديثاً واحداً ليس له شبيه: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

ولئن استعملت **العبارة المفتاح** مفردة فلن تتكرر بعد ذلك إلا بالجمع أو المثنى، فإن قلت: «لا يشبعان» لن تجد في الحديث الشريف إلا حديثاً واحداً يضم هذه العبارة المفتاح وهو: «إثنان (أو منهومان) لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا (أو طالب مال). والمعنى والقصد واحد.

ولن تجد حديثاً جمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتي «لسانه ويده» إلا في حديث متكرر واحد: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

ومن الطبيعي أننا نتحدث عن **كلمة مفتاح** وليس عن إسم موصول أو إسم إشارة أو ضمير ولا حتى عن كلمة شائعة كثيرة الاستعمال مثل : الانسان والمؤمن والكافر والشيطان والسماء والماء والأرض والجنة والنار...

وفيما يلي وعلى سبيل الإيضاح بعضٌ من مفاتيح الكلام، وما أكثرها، في الأحاديث الشريفة:

الكلمة المفتاح العبارة المفتاح	تتمة الحديث	السند
البر	حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس	(٥)
داووا	مرضاكم بالصدقة	
أبغض الحلال	إلى الله الطلاق	(٦)
آية المنافق	ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.	(٧)
خير الذكر	الخفي، وخير الرزق ما يكفي	(٨)
حفت الجنة	بالمكاره، وحفت النار بالشهوات	(٩)
حبب إلي	من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة.	(١٠)
حبك الشيء	يعمي ويصم	(١١)
بلغوا عني	ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.	(١٢)
بشر المشائين	في الظلم إلى المساجد، بالنور التام يوم القيامة.	(١٣)
تابعوا بين الحج والعمرة	فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة؛ وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة.	(١٤)
خير بيت في المسلمين	بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.	(١٥)
دخلت امرأة النار	في هرة ربطتها (أو حبستها)، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت.	(١٦)
بيت لا تمر فيه	جياع أهله	(١٧)
بروا آبائكم	تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم.	(١٨)

وهذا ليس إلا غيض بسيط من فيض الكلمات المفاتيح في الحديث النبوي الشريف.

وأما من أسرار هذه **الكلمة المفتاح** ومن فوائدها، أنها ترسخ في ذاكرة المؤمن المواظب المحافظ، كالعلماء والحفّاظ والدعاة والموفقين من المؤمنين، بحيث أنها تعين كلاً منهم خلال حديثه أو بحثه، فتراها تتألق في ذهنه، وتذكره بنفسها، وما أن يتذكرها أو يذكرها حتى يستحضر الحديث الذي وردت فيه بأكمله، كما تعين المتحدث او الباحث على تذكر الآيات المناسبة لإتمام الفكرة وتمتين الحجة، وهذه منة الله تعالى على عباده الصادقين وهدية من سيد المرسلين لمن أحبه وصدّق كلامه.

فالكلمة المفتاح تضيف إلى صدق الحديث سرعة الرجوع إليه والاستناد عليه، فإذا بالأحاديث الشريفة على لسان الدعاة تترى فتغني البحث وتقوّيه، وتعزّز الباحث وتثريه.

هذا الفضل من الله تعالى على المحبين، زيادة في شرف النبي صلى الله عليه وسلم، وتأكيد لعلماء اللغة ولعشاق البلاغة أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ككلام سائر الناس، وهو ليس بالشعر ولا بالنثر الذي يعرفه العرب والعجم، إن هو إلا تأكيد بأن الرسول الأكرم لا ينطق عن الهوى وأنه مرسل من ربه بكلام سام ومخصوصٍ ومميز، رحمة للعالمين، فهنيئاً لمن اتعظ وصدق وًآمن.

فسبحان الله الذي أعطاه الحجة والبرهان وألان له العبارة واللسان وأعطاه القرآن وعلمه البيان.

جعلنا الله تعالى من الصادقين الهادين المهديين غير ضالين ولا مضلين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) متفق عليه.
(٢) إبن عساكر عن أنس.
(٣) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للإمام المناوي، حرف الهمزة.
(٤) المعجم الكبير للطبراني، عن ثوبان.
(٥) البخاري في الأدب وصحيح مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان
(٦) أبو داود وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن ابن عمر
(٧) متفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي عن أبي هريرة
(٨) أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان عن سعد
(٩) أحمد في مسنده وصحيح مسلم والترمذي عن أنس صحيح مسلم عن أبي هريرة أحمد في مسنده في الزهد عن ابن مسعود موقوفا
(١٠) أحمد في مسنده والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن عن أنس
(١١) أحمد في مسنده والبخاري في التاريخ وأبو داود عن أبي الدرداء، الخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة، ابن عساكر عن عبد الله بن أنيس
(١٢) أحمد في مسنده وصحيح البخاري والترمذي عن ابن عمرو
(١٣) أبو داود والترمذي عن بريدة ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أنس عن سهل بن سعد
(١٤) أحمد في مسنده والترمذي والنسائي عن ابن مسعود
(١٥) البخاري في الأدب وابن ماجة وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة
(١٦) أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وابن ماجة عن أبي هريرة وفي صحيح البخاري عن ابن عمر
(١٧) أحمد في مسنده وصحيح مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عائشة
(١٨) الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

خير خلق الله

٢٠- بيان إنعام الله عليه بقوة السمع والبصر

بقلم د. أ.ع.

النبي رجل من البشر، وتميزه يعود إلى أمرين: ما ينعم الله تعالى على عبده من الصفات والقدرات، وما يكتسبه النبي من رقة في الإحساس وصفاء في النفس نتيجة تعبده وارتقاء روحه، مما يكسبه قوة في السمع والبصر، فيذلل الله له خوارق الطبيعة ويسخر له جنود السماوات والأرض.

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، روى الترمذي وأحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ».

وفي حديث آخر أسمع الله تعالى نبيه المصطفى صوت باب من السماء يفتح، فقد روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وجبريل عليه السلام على الصفا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا جبريل، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق، ولا كف من سويق (دقيق) »، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمر الله القيامة أن تقوم ؟» قال : لا، ولكن أمر الله إسرافيل، فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل، فقال : إن الله سمع ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن يعرضن عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا، وياقوتا، وذهبا، وفضة فعلت، فإن شئت نبيا ملكا، وإن شئت نبيا عبدا ؟، فأومأ (أشار) إليه جبريل أن تواضع، فقال : «بل نبيا عبدا».

وروى الحافظ الهيثمي عزاه للطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتاً هاله، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا الصوت يا جبريل؟». فقال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاماً، فهذا حين بلغت قعرها، فأحب الله أن أسمعك صوتها. فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً ملء فيه حتى قبضه الله.

ومن ذلك سماعه صلى الله عليه وسلم لعذاب المشركين في قبورهم، فقد روى أحمد وابو داود عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل نخلا لبني النجار فسمع صوتا ففزع فقال: «من أصحاب هذه القبور؟ قالوا: يا نبي الله ناس ماتوا في الجاهلية، قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الدجال. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله: ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال: كنت أعبد الله قال فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فيقول هو عبد الله ورسوله، قال: فما يسأل عن شيء بعدها، قال: فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال: هذا بيتك كان في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتا في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له: اسكن؛ وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة

يسمعه الخلق غير الثقلين.

وعن أنس أيضاً: «أَنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ صَوْتاً مِنْ قَبْرٍ فَقَالَ: مَتَى مَاتَ هَذَا؟ قَالُوا مَاتَ فِي الْجَاهِلِيّةِ فَسُرّ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ». خشي صلى الله عليه وسلم أن يُعرض الناس عن دفن موتاهم فيما لو سمعوا صوت عذاب العاصين في قبورهم، كما سمعهم هو.

وأخرج البخاري وروى مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال:

مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذبان وما يعذبان في كبير». ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة». ثم دعا بجريدة (من نخل)، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما إلى أن ييبسا».

وأما قوة بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاءت أخبارها في عدة أحاديث وأيّدها المولى تعالى بقوله في سورة النجم: ﴿*مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى*﴾.

فكان يرى الملائكة الكرام في أشكال مختلفة، حين يزورونه وحين يكتبون ما بدر من بعض الخلق، فقد روى النسائي والترمذي والطبراني عن رافع قال: قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فعطست فقلت الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فقال من المتكلم في الصلاة فلم يكلمه أحد ثم قالها الثانية من المتكلم في الصلاة فقال رفاعة بن رافع بن عفراء أنا يا رسول الله قال كيف قلت قال قلت الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد بها.

ولم يقتصر بصره على رؤية الملائكة بل أنعم الله عليه برؤية ملكوت الله ومنه الأرض من أطرافها، فكان يصف بعض مناطقها، روى مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود، عن ثوبان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى زوى لي الأرض. حتى رأيت مشارقها ومغاربها».

كما أنعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالرؤية من كل الجهات، فقد روى مسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: صَلّى بِنَا رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم يَوْماً. ثُمّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلاَنُ أَلاَ تُحْسِنُ صَلاَتَكَ؟ أَلاَ يَنْظُرُ الْمُصَلّي إِذَا صَلّى كَيْفَ يُصَلّي؟ فَإِنّمَا يُصَلّي لِنَفْسِهِ. إِنّي وَاللّهِ لأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنَ بَيْنَ يَدَيّ».

وقال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لبعض من صلى خلفه فقد روى مسلم وأحمد والنسائي عن أنس قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «إني إمامكم فلا تبادروني بالركوع ولا السجود ولا القيام ولا الانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»، قلنا: ما رأيت يا رسول الله؟ قال: «الجنة والنار».

ولعل بعض الناس لا يستسيغ مثل هذه الحقائق، لكنها تهون أمام تلقي الأنبياء الوحي من الله تعالى، فهذه ميزات الرسل ولولا هذه الصلات لما تمكنوا من تلقي الرسالة وإيصالها إلى الناس، ولما وجد الناس فيهم ما يميزهم عن سائر الخلق، وفي النهاية نستعين بقول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿*وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...*﴾. صدق الله العظيم.

معجزة الأذن

إعداد معتز الراوي*

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ *هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً* ﴾ [الانسان آية ١ و ٢]. ويقول سبحانه: ﴿ *وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة . قليلا ما تشكرون* ﴾ [المؤمنون آية ٧٨].

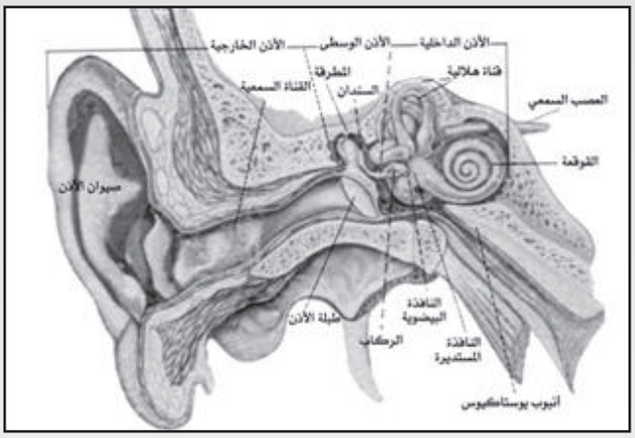

صورة لمكونات الاذن

ان الاصوات تأتي إلينا بتموجات الهواء وان هذه التموجات منها الشديد ومنها الضعيف ومنها ما يأتي عموديًا ومنها ما يأتي جانبيًا فخلق الله تعالى (صيوان الاذن) وجعله غضروفيًا بين العظم واللحم وجعل فيه ليتلقا امواج الصوت ويعكسها من طية الى لية ويوصلها الى (الصماخ)... طيات وليات. وعلم سبحانه بان الرياح التي تحمل الصوت من الممكن ان تكون عنيفة وقد تحمل معها مؤذيات مثل غبار وحشرات فجعل سبحانه (الصماخ) متقوسًا نحو الاعلى وجعل في فمه سياجًا من الشعر وفي باطنه الشمع ليلتقي صدمة الرياح بانحرافه وبالشعر والشمع المؤذيات فلا تصل الى غشاء الطبلة الرقيق. وعلم سبحانه ان بعض الاصوات قد تكون ضعيفة فجعل من (الصماخ) بشكله الكهفي المملوء بالهواء وسيلة لمضاعفة الصوت (التصدية) على النحو الذي نسمعه في الحمامات والكهوف من ضجة الصوت الضعيف يرجع الصدى وعلم سبحانه ان الغشاء المتوتر كالطبل هو افضل الاجسام الصلبة في توصيل الصوت فخلق (غشاء الطبلة) و(غشاء الكوة البيضية) والاغشية الاخرى في الأذن الداخلية ... وعلم سبحانه انه اذا تثبت جسم صلب صغير في طرف غشاء مشدود متوتر اوصل الاهتزازات الصوتية على وجه افضل فخلق سلسلة من ثلاث عظيمات وربطها بين (غشاء الطبلة) وغشاء (الكوة البيضية) ...وعلم سبحانه ان كل جسم صلب محاط بوسط مختلف عنه في الجوهر يرسل الاهتزازات بجوهره باشد مما يرسلها في الوسط المحيط به فجعل العظيمات الثلاث معلقة في الهواء يحيط بها ويفصلها عن عظام الرأس وفعل مثل ذلك في (الصفيحة اللولبية) فاحاطها بسائل مختلف عنها في الجوهر كي لا تنقل الاهتزازات السارية في العظيمات والصفيحة اللولبية الى عظام الجمجمة وتتبدد فيها... وعلم ان سلسلة العظيمات قد تصاب بما يعطل عملها في نقل الصوت من غشاء الطبلة الى غشاء الكوة البيضية فخلق (الكوة المستديرة) وغطاها بغشاء يساعد على ايصال الصوت الى الاذن الداخلية وجعل لكل كوة من الكوتين طريقًا في داخل (القوقعة)... وعلم ان الشكل الحلزوني اللولبي هو الشكل الاصلح لانتشار الالياف العصبية السمعية على مساحة متسعة ضمن جسم صغير في حيز ضيق فخلق (القوقعة) وجعل فيها القنات اللولبية سلمين مستطرقين يصعد احدهما الدهليزي من (الكوة البيضية) وينزل الاخر الطبلي الى (الكوة المستديرة) وجعل في (القنات اللولبية) (الصفيحة اللولبية العظمية الغشائية) التي تفرز سائل اللمفا... وعلم ان بعض الاصوات تاتي من الجمجمة فخلق (القنوات الهلالية) لتساعد على جمع التموجات الصوتية الاتية من الجمجمة وتوجه سير الاصوات حسب اتجاه تجاويفها المنحنية وتوصلها الى اعصاب السمع المنتشرة في سوائلها وسوائل القوقعة وخلق الزقين الغشائيين المملوئين باللمفا وجعل في احدهما الحجرين الاذنيين المتباورين ليزيدا بصداهما شدة الهزات الصوتية... وعلم سبحانه ان للهواء ضغطًا خارجيًا قويًا يؤذي غشاء الطبلة ان لم يقابل من داخل الاذن الوسطى بهواء يعادله ويقاومه ويحفظ الموازنة في ضغط الهواء وحرارته فاذا حصل زفير او شهيق طويل وكان الانف والفم مسدودين فيتوتر الغشاء الطبلي ويتحدب نحو الخارج عند الزفير ونحو الباطن عند الشهيق فيتشوش السمع فخلق سبحانه بوق (اوستاكيوس) وادخل منه الهواء الى الاذن الوسطى وجعل من هذا البوق في الوقت نفسه موضحًا للاصوات كما توضح ثقوب الالة الموسيقية اصواتها وجعله منفذًا للمخاط الذي يفرز من باطن الطبلة...

فسبحان الله الحكيم العليم القدير الذي عرف كل هذي الاسرار والطبائع والنواميس التي لم يعرفها العلماء إلاّ بعد آلاف السنين من خلق الانسان فخلق جهاز الاذن المعقد على مقتضى هذي الاسرار.

---

* من كتاب (قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن) للشيخ نديم الجسر (رحمه الله) مفتي طرابلس ولبنان الشمالي.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

من بديع الإعجاز التشريعي في الإسلام

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

د. عبد الرحيم الشريف*

تحرص الشريعة الإسلامية على حمل الناس على طاعة أوامرها ونواهيها طاعة اختيارية، تنبعث من أعماق النفس، وتعتمد في تحقيق هذه الطاعة على تنبيه الشعور الإيماني وإيقاظه في النفوس، وتذكير الناس باليوم الآخر وما فيه من الجزاء والحساب مع بيان ما في هذه الأوامر والنواهي من خير ومصلحة للناس في الدنيا والآخرة.

لكن هذا لا يكفي لحمل الناس على هذه الطاعة، وذلك لأن الناس ليسوا متساوين في يقظة الضمير الديني والإنساني، وفي تحقق الإيمان وفي استحضار اليوم الآخر وخشيته ، وفي غلبة نوازع الشر والهوى وحب المنافع ولو كان ذلك على حساب الآخرين .

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات فإن العقوبات التي توقعها الدولة على الذنوب والجرائم هي السبيل الملزم لتنفيذ أوامر الله ونواهيه.

فللعقوبة في الإسلام أغراض نذكر منها:

١) **تحقيق العدالة:** فحياة الإنسان، وممتلكاته، وعرضه من الأمور الواجب احترامها، وبالتالي فليس من العدل في شيء ترك الإنسان الذي يتعرض لهذه الأمور دون أن يطاله شيء.

٢) **تحقيق الردع:** والردع هنا على نحوين:

أ. الردع العام: بإنذار الجماعة بشرها إذا ما ارتكب أحد أفرادها فعلاً يعد جريمة، أو بمثل العقوبة التي تصدر ضد الجاني إذا ارتكب فعلاً مجرماً وتثبت مسؤوليته، فوظيفة العقوبة هنا تهديدية.

ب الردع الخاص: أما وظيفة الردع الخاص فيما يتركه ألم العقوبة من أثر نفسي في المحكوم عليه يحول بينه وبين العودة إلى الإجرام مرة ثانية.

٣) إصلاح الجاني: فالعقوبة إنما قررت لإصلاح الجاني لا للانتقام من الجاني والتشفي منه، فالمجرم إذا شعر بالألم وأحس به فإنه سيشعر حتماً بمقدار ما تسبب به للآخرين من الألم مما يولّد حالة صحوة الضمير في نفسه ذلك الذي يدفعه إلى تأنيبها مما يؤدي بالنتيجة إلى الإقلاع عن الأعمال الإجرامية.

ولنأخذ إشهاد طائفة من المؤمنين لجلد الزانية والزاني كمثال على ذلك، قال تعالى: ﴿ ***الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ . . وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*** ﴾ [النور: ٢] فلماذا اشترطت الآية الكريمة لكمال تطبيق الحد أن يشهد عليه عدد من المؤمنين؟ ولماذا لم تقل: « طائفة من الناس «؟

الجواب: الغاية من شهود المؤمنين لتنفيذ الحد هي:

١. يشهدون للحاكم أمام الله تعالى ثم أمام الناس أنه يحكم بما أنزل الله تعالى.

٢. يراقبون الجالد فلا يزيد في الضرب عن العدد المحدد (مائة جلدة) ولا ينقص منه، ولا يزيد من شدة الضرب عن الحد المعقول، ولا يتهاون في الجلد.

٣. فيه عذاب نفسي للمجلود أشد من الأذى البدني حيث يرى جلده أعيان البلد وفضلاؤهم، وهذا لا يتحقق إن تم جلد الفسقة أمام بعضهم بعضاً، وبهذا يجزم أن لا يعود لمثله مرة أخرى.

٤. حين يعود الشهود إلى بيوتهم ويخبرون أهاليهم بما رأوا يتحقق الهدف الرئيس للعقوبة في الإسلام وهو الردع.

٥. قد تصدر أصوات أو حركات أو انكشاف للعورات، والشهود المؤمنون يحفظون السر.

٦. هنالك فائدة جميلة جداً ذكرها ابن تيمية وهي: أن المؤمنين الذين يشهدون تنفيذ الحد يستغفرون للمجلود ويسألون الله سبحانه وتعالى أن يرزقه الصبر وأن يخفف عنه.

تلك هي فلسفة العقوبة في الإسلام، وسبحان من شريعته الإسلام الحنيف.

---

* رئيس قسم أصول الدين جامعة الزرقاء/الأردن.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

أي جمال لكلمة ... «الله»

أ. خالد حنون*

من جملة ما يميز اللغة العربية عن باقي لغات العالم أن الإسلام منحها جملاً ممزوجة باسم الله تذّكر المسلم بخالقه على الدوام وتعينه على مصاعب الحياة وتزيده في حب بارئه ومولاه. فاسم الله تجده في كل المفردات اليومية المستعملة في التخاطب بين الناس إن لشكر النعم وطلب العون أو لدرء النقم ومحو الظلم. فلا اله إلا الله يشكر أو يحمد أو يستعان أو يستغاث.

وكل عملٍ عند المسلم يبدأ ببسم الله. فإذا نجح قال: الحمد لله . وإذا خاب قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. إن هاله شيء قال: الله اكبر. وإن أعجبه خلق قال: سبحان الله. إن وسوس له الشيطان أو اتّهم زورًا قال: أعوذ بالله. وإن أصابه قدر كرهه قال: قدر الله وما شاء فعل. إن صنع أحدهم معه معروفاً قال له: جزاك الله خيرًا وإن عكس ذلك قال: سامحك الله. إن سافر قيل له: نستودعك عند الله. وإن رجع قيل: حمدًا لله على سلامتك. إذا أراد شيء دعا ربه فقال: يا الله. وإن عصاه قال: استغفر الله. أما إذا مات فيقال: رحمه الله. لكن إذا أراد أن يذكر الله في نفسه قال: الله. طبقًا للآيتين الكريمتين: ﴿*وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ*﴾ (الأعراف٢٠٥). ﴿*وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً*﴾ (المزمل٨)... مئات الجمل التي ترد على لسان المسلم وقلبه كل يوم، مزجت باسم الله الأعظم، تعطي للكلام معنى ودلالة. ترى أي سحر أو سر لهذا الاسم العظيم؟ فاسم الله إن حذفنا حرف الألف منه بقي لله وان حذفنا اللام الأولى بقي له وان حذفنا اللام الثانية بقي هُ (أي هو) وكلها تدل على الوحدانية. فهل نجد في غير اللغة العربية مثل هذه الدلالة ؟

أسقف هولندي: كلمة الله أكثر جمالا من God

«من هنا فصاعدًا يمكننا كمسيحيين أن نستخدم لفظة الله بدلاً من استخدام لفظة (God) فاللفظة العربية أكثر جمالاً وتعبيرًا عن مكانة الإلـه... وربما تزيد من فرص التقارب بين الأديان».

هذا التصريح فاجأ به تيني موسكينس أسقف كنيسة بريدا وسط هولندا المشاهدين وكافة المسيحيين خلال البرنامج التليفزيوني «نات فارك» الذي أذاعته القناة الثانية الهولندية. اللفظة العربية «الله» ، يقول الأسقف الكاثوليكي : «أكثر تعبيرًا عن مكانة الإله الذي يعبده الجميع»، وتساءل عن مبررات عدم توحيد الاسم: «لماذا لا نقول جميعًا من هنا فصاعدًا الله بدل من God..؟ خاصة أنه بلفظه العربي أكثر تعبيرا وجمالاً» .وأوضح أنه خلال عمله في الكنائس الإندونيسية كان يستخدم لفظة «الله» داعيًا المسيحيين الهولنديين إلى اعتمادها: «إذا كنت أنا طيلة ٨ سنوات، وغيري من القساوسة لعشرين أو ثلاثين عامًا، نردد في صلواتنا بكنائس إندونيسيا عبارة (الله العظيم) ونحن في ذروة القداس، فلِم لا نستطيع أن نفعل ذلك هنا، بشكل جماعي؟!».

قول أسقف بريدا يحمل وجهة نظر تستحق الدراسة»، هكذا علّق الناطق باسم مؤتمر الأساقفة الهولنديين بيتر كوهنان، مضيفًا أنه «إذا استحضرنا الذاكرة البشرية فسنجد أن الإنسان يبحث عن اللفظة المناسبة ليثبت بها عظمة الإله».

الأسقف موسكينس من جانبه يدرك أن المسيحيين في هولندا لن يتقبلوا الأمر بسهولة: «الأمر قد يحتاج من ١٠٠ إلى ٢٠٠ سنة ليصبح معتادًا، ولكنني على قناعة بأنه في نهاية الأمر سوف يتحقق»، وفق تصريحات نشرتها

الصحافة الهولندية. ووصف التمسك بلفظة « God» بأنه «جدالات وعصبيات من اختراع الإنسان»، معتبرًا أن استعمال اللفظة العربية سيزيد من فرص التقارب بين الأديان .وقد حظيت دعوة الأسقف موسكينس بتغطية إعلامية مكثفة، رغم أنه سبق أن أطلقها قبل سنوات، ولم تجد حينها اهتمامًا يذكر من وسائل الإعلام أو الكنيسة».

أخيرًا: لم يستطع احد أن يصف ما يقدمه هذا الاسم بالتحديد إلا صاحبه فقال : ﴿***الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ***﴾ .(الرعد٢٨) وكفى بذلك بياناً .

ومما يدعو إلى السرور، أن العرب مسلمين ومسيحيين يعتمدون هذا الإسم الأعظم بدون عقد ولا هواجس، يرتاحون إليه ويستغيثون به ويعتمدون عليه، فالله هو الله.

---

* khaled-hanoun@hotmail.com

نشرت الصحف الهولندية خبر الأسقف موسكينس وهو لا يزال موجوداً على موقع إسلام اون لآين: بعنوان: «أسقف هولندي: Allah أكثر جمالا من God».

الأسقف موسكينس

عزيزي القارئ،

ضع هذه المجلة في المكتب أو في البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها أو تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى ﴿كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره﴾.

هل مناسك الحج وثنية؟

بريد القرّاء*

قال صاحبي وهو يفرك يديه ارتياحًا ويبتسم ابتسامة خبيثة تبدي نواجذه وقد لمعت عيناه بذلك البريق الذي يبدو في وجه الملاكم حينما يتأهب لتوجيه ضربة قاضية: ألا تلاحظ معي أن مناسك الحج عندكم هي وثنية صريحة... ذلك البناء الحجري الذي تسمونه الكعبة وتتمسّحون به وتطوفون حوله... ورجم الشيطان... والهرولة بين الصفا والمروة... وتقبيل الحجر الأسود... وحكاية السبع طوفات والسبع رجمات والسبع هرولات... وهي بقايا من خرافة الأرقام الطلسمية في الشعوذات القديمة وثوب الإحرام الذي تلبسونه على اللحم...

لا تؤاخذني إذا كنت أجرحك بهذه الصراحة ولكن لا حياء في العلم... وراح ينفث دخان سيجارته ببطء ويراقبني من وراء نظارته...

قلت في هدوء: ألا تلاحظ معي أنت أيضًا أن في قوانين المادة التي درستها أن الأصغر يطوف حول الأكبر: الإلكترون في الذرّة يدور حول النواة والقمر حول الأرض والأرض حول الشمس والشمس حول المجرّة والمجرّة حول مجرّة أكبر إلى أن نصل إلى الأكبر مطلقًا وهو الله ألا نقول الله أكبر أي أكبر من كل شيء. وأنت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية رغم أنفك ولا تملك إلا أن تطوف فلا شيء ثابت في الكون إلا الله هو الصّمد الأحد والكل في حركة حوله. وهذا هو قانون الأصغر والأكبر الذي تعلمته في الفيزياء...

أما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله وهو أول بيت اتخذه الإنسان لعبادة الله فأصبح من ذلك التاريخ السحيق رمزًا وبيتًا لله... ألا تطوفون أنتم حول رجل في الكرملين أو البيت الأبيض تعظمونه وتقولون أنه قائد البشرية... ولو عرفتم لشكسبير قبرًا لتسابقتم إلى زيارته بأكثر مما نتسابق إلى زيارة محمد عليه الصلاة والسلام... ألا تضعون باقة ورد على نصب حجري وتقولون أنه يرمز للجندي المجهول... فلماذا تلومونا لأننا نلقي حجرًا على نصب رمزي نقول أنه يرمز إلى الشيطان...ألا تعيش في هرولة من ميلادك إلى موتك ثم بعد موتك يبدأ ابنك الهرولة من جديد ...وهي نفس الرحلة الرمزية من الصفا، الصفاء أو الخواء أو الفراغ رمز للعدم إلى المروة، وهي النبع الذي يرمز إلى الحياة و الوجود من العدم إلى الوجود ثم من الوجود إلى العدم أليست هذه هي الحركة البندولية لكل المخلوقات... ألا ترى في مناسك الحج تلخيصًا رمزيًا عميقًا لكل هذه الأسرار... ورقم ٧ الذي تسخر منه... دعني أسألك ما السر في أن درجات السلم الموسيقي ٧ صول لا سي دو ري مي فا ... ثم بعد المقام السابع يأتي جواب الصول من جديد فلا نجد ٨ وإنما نعود إلى سبع درجات أخرى وهلم جرا ... وكذلك درجات الطيف الضوئي ٧ ... وكذلك تدور الإلكترونات حول نواة الذرّة في نطاقات ٧ ... والجنين لا يكتمل إلا في الشهر ٧ وإذا ولد قبل

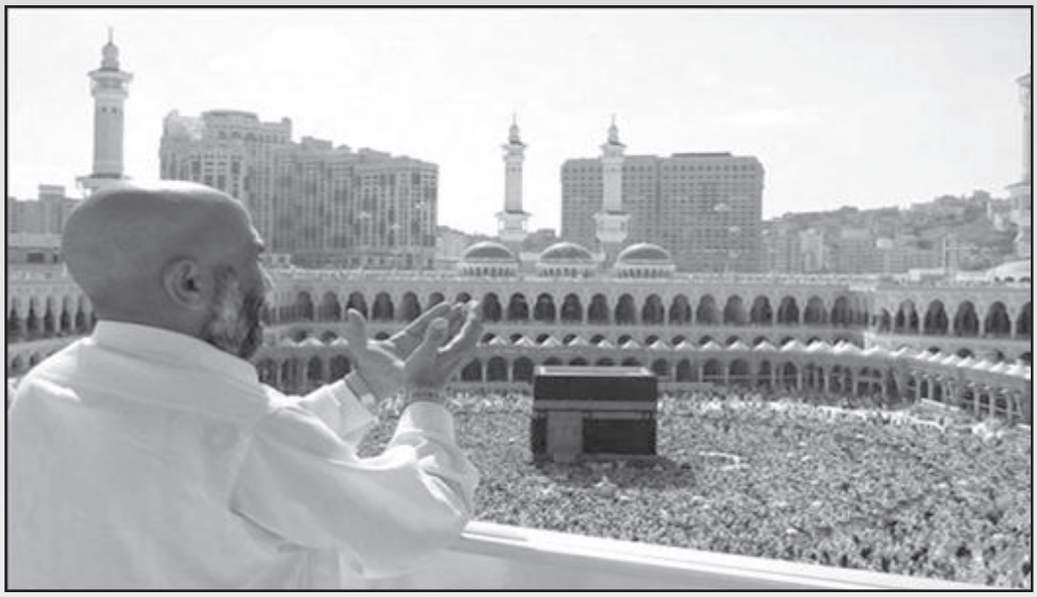

ذلك يموت ... وأيام الأسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشري ٧ وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا ... ألا يدل ذلك على شيء أم أن كل هذه العلوم هي الأخرى شعوذات طلسمية... ألا تقبّل خطابا من حبيبتك .. هل أنت وثني ؟ فلماذا تلومنا إذا قبّلنا ذلك الحجر الأسود الذي حمله نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في ثوبه وقبّله لا وثنية في ذلك بالمرة لأننا لا نتجه بمناسك العبادة نحو الحجارة ذاتها وإنما نحو المعاني العميقة والرموز والذكريات ...إن مناسك الحج : هي عدة مناسبات لتحريك الفكر وبعث المشاعر وإثارة التقوى في القلب... أما ثوب الإحرام الذي نلبسه على اللحم... ونشترط ألا يكون مخيطا فهو رمز للخروج من زينة الدنيا وللتجرد التام أمام حضرة الخالق... تماما كما نأتي إلى الدنيا في اللفة ونخرج من الدنيا في لفة وندخل القبر في لفة ...

ألا تشترطون أنتم لبس البدل الرسمية لمقابلة الملك أو الرئيس ونحن نقول : إنه لا شيء يليق بجلالة الله إلا التجرد وخلع جميع الزينة لأنه أعظم من جميع الملوك ولأنه لا يصلح في الوقفة أمامه إلا التواضع التام والتجرد... ولأن هذا الثوب البسيط الذي يلبسه الغني والفقير أمام الله فيه معنى آخر للأخوة رغم تفاوت المراتب والثروات ... والحج عندنا اجتماع عظيم ومؤتمر سنوي ومثله صلاة الجمعة وهي المؤتمر الصغير الذي نلتقي فيه كل أسبوع هي كلها معان جميلة لمن يفكر ويتأمل وهي أبعد ما تكون عن الوثنية...ولو وقفت معي في عرفة بين عدة ملايين يقولون الله أكبر ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لغة ويهتفون لبيك اللهم لبيك ويبكون ويذوبون شوقا وحبًا لبكيت أنت أيضًا دون أن تدري وتذوب في الجمع الغفير من الخلق وأحسست بذلك الفناء والخشوع أمام الإله العظيم مالك الملك الذي بيده مقاليد كل شيء...

---

* h__hammoud74@hotmail.com

أنصبة المرأة في الميراث الإسلامي

د . أسامة نمر عبد القادر*

من الخطأ تعميم القول بأن المرأة في الميراث الإسلامي تأخذ نصف نصيب الرجل، بل المرأة لها أربع حالات: الأولى: أن تأخذ المرأة نصف حصة الرجل، والثانية: أن تأخذ المرأة مثل الرجل، والثالثة: أن تأخذ المرأة أكثر من الرجل، والرابعة: أن ترث المرأة ولا يرث الرجل.

الحالة الأولى: أن ترث المرأة نصف الرجل.

ولذلك أربع صور، هي الآتية:

١ – إذا ورّث المتوفى بنته مع ابنه.

٢ – أو بنت ابنه مع ابن ابنه.

٣ – أو أخته الشقيقة مع أخيه الشقيق.

٤ – أو أخته لأب مع أخيه لأب.

القول بأن الأنثى ترث دائما نصف ما يرث الرجل ليس دقيقاً

الحالة الثانية: أن يكون نصيب المرأة مساويًا لنصيب الرجل.

ولهذه الحالة صور، منها:

صورة رقم (١): إذا توفي شخص وترك بنتًا وأبًا، فإن نصيب البنت هو نصف الميراث، بينما نصيب الأب هو: سدس الميراث مع باقي الميراث وهو في هذه الحالة السدسان (أي: ما مجموعه النصف الآخر من التركة)، ففي هذه الحالة تأخذ بنت المتوفى مثل نصيب أبي المتوفى.

صورة رقم (٢): إذا توفي شخص وترك بنتًا وابن ابن، فإن نصيب البنت هو نصف الميراث، وابن الابن هنا عصبة، والعصبة يأخذ ما بقي من التركة إن بقي منها شيء، وباقي التركة في هذه الحالة هو النصف، وهكذا ترى هنا أن بنت المتوفى قد أخذت مثل نصيب ابن ابن المتوفى.

صورة رقم (٣) : إذا توفي شخص وترك بنتًا وأخًا واحدًا، فإن نصيب البنت هو نصف الميراث، والأخ هنا عصبة، فسيأخذ باقي الميراث، والباقي في هذه الحالة هو النصف، وهكذا ترى هنا أن بنت المتوفى قد أخذت مثل نصيب أخ المتوفى.

الحالة الثالثة: أن يكون نصيب المرأة أكثر من نصيب الرجل.

ولهذه الحالة صور أيضًا، منها ما يلي :

صورة رقم (٤): إذا توفي شخص وترك بنتًا وأمًا وأبًا، فهذه الحالة مثل الحالة رقم (١) لكن مع زيادة الأم، وستأخذ الأم سدس الميراث، لكن هذا السدس لن يخفض من نصيب البنت شيئًا، بل سيخفض من نصيب الأب، وعليه فسيكون نصيب بنت المتوفى نصف الميراث، ونصيب الأم سدس الميراث، ونصيب الأب هو: سدس الميراث مع باقي الميراث وهو في هذه الحالة السدس فقط (أي : ما مجموعه ثلث التركة)، وهكذا ترى في هذه الحالة أن بنت المتوفى قد أخذت أكثر من نصيب جدها .

قد ترث المرأة نصف ميراث الرجل ومثله واكثر منه

صورة رقم (٥): إذا توفي شخص وترك بنتًا واحدة ولو كان له عشرة إخوة، فإن نصيب البنت هو نصف الميراث، والإخوة العشرة هنا عصبة، فسيأخذون الباقي، أي أن

العشرة سيشتركون في نصف الميراث، وهذا يعني أن بنت المتوفى وحدها ستأخذ نصف التركة، وكل واحد من الإخوة سيأخذ (١/٢٠) من التركة، فلو فرضنا أن المتوفى ترك مائة دونم، فستأخذ البنت وحدها خمسين دونما، وسيأخذ كل واحد من الإخوة دونمين ونصف.

صورة رقم (٦): إذا توفي شخص وترك بنتين وثلاثة أعمام، فإن نصيب البنتين معًا هو الثلثان من الميراث، والأعمام الثلاثة هنا عصبة، فسيأخذون الباقي، أي أن الأعمام الثلاثة سيشتركون في باقي الميراث، وهو الثلث، وهذا يعني أن بنتي المتوفى وحدهما ستأخذان ثلثي التركة، وكل واحد من الأعمام سيأخذ (١/٩) من التركة، فلو فرضنا أن المتوفى ترك تسعين دونما، فستأخذ كل بنت ثلاثين دونما، وسيأخذ كل واحد من الأعمام عشرة دونمات.

الحالة الرابعة: أن ترث المرأة ولا يرث الرجل.

ولهذه الحالة صور ، منها ما يلي :

صورة رقم (٧): إذا توفي شخص وترك بنتًا وأختًا شقيقة وأخًا لأب، فإن البنت ستأخذ نصف الميراث، والأخت الشقيقة هنا عصبة مع البنت، فستأخذ الباقي، وكل من البنت والأخت الشقيقة معا سيحجبان الأخ الشقيق ولن يرث شيئًا، بينما لو لم توجد الأخت الشقيقة ، فسيكون الأخ لأب عصبة وسيأخذ هو الباقي، وهذا يعني أن الأخت الشقيقة مع البنت حجبا الأخ لأب.

ملاحظة هامة

إن أصحاب الفروض هم: «الوارثون الذين يرثون كسرًا محددًا ونسبة معينة من التركة»، كالنصف أو الثلث أو الربع أو السدس، بينما العصبات بالنفس فهم: «الوارثون الذين يرثون ما يبقى من التركة بعد أصحاب الفروض»، ويلاحظ أن أكثر أصحاب الفروض نساء، وأن جميع العصبات بالنفس رجال، وهذا يعني ما يلي:

١) أن أولوية التقسيم في الميراث هي لأصحاب الفروض الذين أغلبهم من النساء، ثم ما يبقى يعطى للعصبات بالنفس الذين جميعهم رجال.

٢) إنه لا مجال لأن يقل نصيب المرأة عن تلك النسبة المحددة لها في الشرع، فلو شاركها وارثون آخرون في الميراث فلن تقل نسبتها عما حدده لها الشرع،

هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث الرجل

أما الرجل الذي هو عصبة بالنفس فكلما دخل في الميراث وارث غيره قل نصيبه، ولو أن أصحاب الكسور أخذوا جميع التركة فإن هذا العصبة من الرجال لن يأخذ شيئًا.

٣) لو أن أصحاب الكسور زاد مجموع كسورهم عن الواحد الصحيح، أي: زادت أنصبتهم عن القيمة الكلية للميراث، فإن الشرع أوجب توريثهم جميعًا، حيث تقسم التركة بطريقة تسمى «العول» ، حيث أن العول يضمن لكل صاحب كسر أن يأخذ نسبته المحددة شرعًا، بينما لو أخذ أصحاب الكسور جميع التركة ولم يبق من التركة مال، فإن العصبة من الرجال لن يأخذ شيئًا، وهكذا يتبين لك أن الشرع لا يجري العول للعصبات، وإنما يجريه لأصحاب الفروض فقط.

---

* من جامعة الزرقاء الاهلية. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.quran-m.com

إلى الأحبة القراء:

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

بعض الضغوط النفسية وطرق التعامل معها في القرآن الكريم

د. جميل حسن الطهراوي*

مقدمة:

الضغط النفسي : حالة من عدم التوازن الناجم عن تعرض الفرد لانفعالات نفسية سيئة تتسم بالقلق والتوتر والضيق والتفكير المرهق في أحداث وخبرات حياتية تعرض لها في الماضي أو يعيشها حاضراً أو يخشى حدوثها مستقبلاً، وتسبب اضطرابات فسيولوجية ضارة. (...) ومنها:

1. الضغط الناتج عن الاغتراب النفسي:

يصنف الاغتراب النفسي كأحد الاضطرابات التي تصيب الأفراد، فيشعر الفرد المغترب بأنه غريب عن هذا الكون، لا يعرف من هو ومن أين أتى؟ لماذا خلق؟ من الذي خلقه؟ ما المصير؟ ماذا وراء هذا الوجود؟ وإلى أين نذهب؟ ويسبب هذا التفكير المتواصل آثاراً نفسية سيئة، يشعر الفرد خلالها بأنه تائه في الحياة، وفاقد للمعنى، ويتسم في الغالب بالقلق والتوتر، وقد أطلق عليه بعض علماء النفس المعاصرين، قلق الوجود، كما أطلقوا عليه عصاب اللامعنى. وربما تظهر أبيات إيليا أبو ماضي التالية جانباً من هذا الاغتراب والتخبط:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت، وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت، كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدري...

وتحدث القرآن عن التائهين المشككين، وسفه آرائهم لقوله تعالى: ﴿ *وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ* ﴾ (الجاثية24).

وبعيداً عن نهج الفلاسفة، وجدل المجادلين، وشك الحائرين، يخاطب القرآن كل ذي لب ليزيل اللبس والغموض في هذه المسألة الهامة لتوضحها الآيات بمنهجية شاملة متكاملة، يندرج فيها جميع القضايا الفرعية آنفة الذكر، فبداية خلقنا الله على هذه الأرض لعبادته سبحانه وتعالى: ﴿ *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* ﴾ (الذاريات56). ﴿ *أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* ﴾ (المؤمنون115).

إذن فنحن مأمورون خلال حياتنا بإتباع المنهج الرباني، واستشعار الغاية التي خلقنا من أجلها باستمرار فنسعد ونسعد الآخرين ﴿ *وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* ﴾ (الأنعام153)، ﴿ *مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* ﴾ (النحل97).

أما عن النهاية، التي سبب التفكير فيها والخوف منها الخوف والرعب للكثيرين عبر التاريخ الإنساني، فيقول تعالى: ﴿ *إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ* ﴾ (يونس4).

وتوضح الآية أن النهاية لن تكون متشابهة للجميع،

فشتان بين من آمن فاجتهد وأطاع خالقه، وبين من كفر واتبع الشهوات، وعاش كما تعيش البهائم.

هذا العرض الواضح، بمنهج متكامل، يجعل الفرد يشعر بالسكينة والطمأنينة، فلا تنتابه الهواجس والأفكار الوسواسية القهرية التي تنغص عليه حياته، قلا تجعله يستشعر السعادة والسكينة ﴿*الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*﴾ (الرعد28) ، أما من رفض فيتوعده الله سبحانه وتعالى بحياة سيئة ونهاية أسوأ﴿*مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً*﴾ (طه100)، ﴿*وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى*﴾ (طه124)، هذه اللوحة المتكاملة ليس بإمكان العلم البشري المحض أن يوضحها، كما جلاها الخالق عز وجل في القرآن الكريم، ﴿*أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ*﴾ (الملك14).

2- الخوف من الأقدار، والتردد في أخذ القرار:

يشغل الخوف من المستقبل أذهان الأفراد، فيقلقون ويتوترون خوفاً مما تخبئه لهم الأقدار، فهم يخافون المجهول ويخشون تقلبات الزمان، مما يسبب لهم الضغط النفسي والذي ينعكس سلباً على صحتهم النفسية، وعلى علاقاتهم الاجتماعية، «وفي أحد الاستفتاءات للشباب العربي ذكر53% منهم أنهم يخافون المستقبل». ويؤثر هذا الخوف على تفكير الفرد فيبقى متردداً، لا يستطيع اتخاذ القرار، ليعاني في داخله من الصراع والذي يأخذ عدة أشكال من الإقدام والإحجام والتردد بينهما، وهكذا نرى أن الخوف من المستقبل يشكل أحد أهم الضغوط النفسية لدى البشر، مما ينعكس عليهم سلباً، فيعيش الفرد في خوف وترقب دائم، لا يستطيع أخذ القرار، ويكثر التفكير وتقليب الأمور، ولو تتبعنا ما أورد القرآن الكريم للتعامل مع هذه المسألة الهامة لوجدنا التالي:

أولاً: المسلم يجب أن يوقن بأن كل ما يحدث وسيحدث في الكون وللبشر، بقدر الله سبحانه وتعالى وبعلمه ﴿*وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ*﴾ (الأنعام59).

﴿*مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ*﴾ (الحديد22).

فالإيمان بالقدر خيره وشره هو الذي يجنب الإنسان القلق النفسي ويحميه من الصراع والحسرة والجزع، فلا بد أن يتقبل الإنسان الأحداث بنفس راضية، «ويؤدي هذا الإيمان بالقدر إلى الرضا والشعور بالأمن النفسي»

ثانياً: الخشية الحقيقية والخوف في التصور الإسلامي يجب أن يكون من الخالق عز وجل، أما الحرص الشديد والخوف من فقد المكاسب الدنيوية فهذه من الصفات المذمومة التي تشير إلى ضعف الإيمان، وذلك للتالي:

أ- أخبرنا المولى عز وجل بعدم دقة مقاييسنا البشرية لما قد ينفعنا أو يضرنا، يقول تعالى: ﴿*وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ*﴾ (البقرة216)، ويقول تعالى في موضع آخر:﴿*فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً*﴾ (النساء19).(...)

ب - إن الله يطلب منا التوازن في انفعالاتنا، وهو ما يطلق عليه النفسانيون (الاتزان النفسي) في علم النفس، فالله لا يحب لنا الفرح الشديد ولا الحزن الشديد، وهذان لاشك أنهما من أعراض الاضطرابات النفسية، كما أن هذا الاتزان من أهم مؤشرات الصحة النفسية السليمة لدى الفرد، يقول المولى عز وجل: ﴿*لِكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ*﴾

الحديد23، وليس المقصود مما سبق تحريم المشاعر والانفعالات، ولكن يمنع فرح البطر والتكبر، وحزن اليأس والقنوط، وعلى سبيل المثال لقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم وجمع بين مقامي الرحمة والصبر فقال: « إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما نرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون « .

ج- الله لا يرتضي لنا التردد المرضي، ذا الطابع الوسواسي المتشكك يقول تعالى: ﴿ ***فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ*** ﴾ (آل عمران 159).

ثالثاً: وما دام المسلم لا يخالف شرع الله فعليه عقد العزم في كل أموره، والأخذ بالأسباب، والتوكل على خالقه عز وجل، وهو رابح بإذن الله وفق كل الاحتمالات، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

-3الضغط النفسي الناتج عن (قلق الرزق):

تشغل قضية العمل والأرزاق تفكير الناس، فالطالب يخشى ألا يجد عملاً بعد تخرجه، والمزارع يقلق على أثمان المحاصيل، والسائق والموظف وغيرهم، يفكرون كثيراً ويضعون الاحتمالات حول ما سيكسبونه من مال، وتناولت أبحاث نفسية كثيرة، ظاهرة الضغوط النفسية في العمل والتي كان إحدى محاورها البعد المادي الذي يتناول المرتبات والمكافئات والعوائد المالية.

وحتى تطمئن نفس الإنسان لهذا الأمر الهام، فقد أكد القرآن الكريم على أن الرزق بيد الله، وأنه وحده هو الرزاق، ﴿ ***إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ*** ﴾ (الذاريات58)، ﴿ ***وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*** ﴾ (العنكبوت60)، والمطلوب من الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ثم لا يقلق ولا يتوتر أو يخالف منهج الله لكي يكسب بعض المكاسب الدنيوية الزائفة، وليشعر بالاطمئنان لأن الله تكفل برزقه وأن الله قدر له ذلك.(...)

-4 الضغوط الناتجة عن خشية الموت:

لقد أرعبت فكرة الموت البشر على مر العصور، وقد تجلى ذلك بوضوح في الحضارات القديمة في العراق ومصر، وارتبط مفهوم الموت لدى الكثيرين بالانفعالات العنيفة والمشاعر الجياشة والاتجاهات السلبية، تتجمع معاً وتضغط مكونة ما يطلق عليه النفسانيون المعاصرون «قلق الموت»، وقد عرفه ديكشتاين» Dickstein «بأنه التأمل الشعوري في حقيقة الموت، والتقدير السلبي لهذه الحقيقة.

كما ذهب بعض النفسانيين إلى أبعد من ذلك، إذ وجدت ميلاني كلاين Klein «Melani» أن الخوف من الموت هو أصل كل القلق الذي يصيب المرء في حياته، وأساس كل الأفكار والتصرفات العدائية المشاكسة لدى البشر.

أما الموت في التصور الإسلامي، فيأتي في سياق الإيمان بالخالق عز وجل، فهو ليس ذلك المجهول الذي يبث الخوف والرهبة في النفوس ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان أياماً معدودة في الدنيا، ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة، يقول تعالى: ﴿ ***كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ*** ﴾ (آل عمران 185).

«والقرآن يصور للمسلم أن للموت حكمة وغاية، كما للحياة حكمة، وتكتمل الحكمتان في اختيار الإنسان وامتحانه في حياة أخرى باقية» ﴿ ***الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ*** ﴾ (الملك2).

وفي هذا طمأنة للمؤمن أنه لا أحد في الكون يستطيع تغيير الأجل، وأن هذا الأمر بيد الخالق عز وجل فتسكن نفسه، وتطمئن لخالقها، ويوجه طاقته

النفسية للعبادة والاهتمام بما يفيده وأهله وجيرانه وكل الناس، لينطبق عليه قول الخالق عز وجل: ﴿ *يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر27،28).

5- الضغط النفسي الناتج عن اتهام النفس (جلد الذات):

قد يعيش بعض الأفراد غير الأسوياء بلا ضمير يردعهم، فلا يترددون في ارتكاب الجرائم واغتصاب حقوق الغير، دون أن يندموا أو يتراجعوا عن أخطائهم، ويطلق علماء النفس على هذه النمط من الأفراد (الشخصية السيكوباثية) أو الشخصية المضادة للمجتمع، ويوصف أصحابها بأنهم مصابون بالجنون الخلقي، أما الإنسان السوي فيخشى عقاب الله ويندم على سوء أفعاله، فيستغفر ربه، ويرد المظالم، ويأمل بمغفرة خالقه. وهناك نمط ثالث يبالغ في إدانة النفس، فيصاب بالاكتئاب والقنوط واليأس، فتتحول حياته إلى جحيم من صنعه، فيشعر أنه أسوأ الناس، وأن الله لن يرحمه ولن يغفر له، وقد عالج القرآن الكريم هذه المسألة الهامة بصورة واضحة في التالي: يقول تعالى: ﴿ *وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ* ﴾ (آل عمران135).

- يحذرنا المولى عز وجل من الإسراف على النفس، وأنه يغفر الذنوب جميعاً ﴿ *قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* ﴾ (الزمر53).

- وهناك تحذير كبير لمن يصل به تفكيره إلى درجة اليأس، فلا يأس للمؤمن وخالقه موجود ﴿ *إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ* ﴾ (يوسف87).

أن الله يغفر الذنوب كلها لمن آمن به، ولكنه لا يغفر لمن يشرك به، ﴿ *إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا* ﴾ (النساء48)، وذكر بعض المفسرين أنها أرجى آية في القرآن لأهل التوحيد. هذا المنهج الوسطي يمنح الأمل ويبقى باب التوبة والمغفرة مفتوحاً بين الإنسان وخالقه، فتطمئن نفسه ويعزم على فتح صفحة جديدة، ويمضي في حياته آملاً رحمة ربه.

خاتمة:

(...) ولا شك أن قبول الشخص لإرادة الله وحكمته ضمن إطار إيمانه التام بالله، يخفف عنه المصاب، ويجعله يطمع في ثواب الآخرة، وألا يجزع أو يصاب باليأس، وتقف نظريات الإرشاد النفسي عاجزة في مثل هذه الحالات، لأنها لا تستطيع الإجابة على تساؤلات المسترشدين الواقعة خارج مجال الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط».

ويرى الباحث في هذا الحديث منجماً للدرر النفسية لمن أراد أن يسبر غور النفس البشرية ويفهم معنى التوافق النفسي والتغلب على الضغوط، فكما أسلفت الدراسة فإن الضغوط النفسية في جلها تحدث من خلال إدراك الفرد لما يحدث له ومن حوله، فمن يتبرم ويسخط فستبقى مشكلته قائمة، وستزداد معاناته النفسية والجسدية، ومن رضي فله الأجر والثواب في الآخرة، فيقنع وتهدأ نفسه، ويمضي في حياته مقبلاً غير مدبر دون يأس أو قنوط.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾
آية معجزة

أ.د. زغلول النجار

أجمع قدامى المفسرين ومحدثوهم على أن لفظة شواظ هنا تعني اللهب الذي لا دخان له. وكلمة نحاس تعني الدخان الذي لا لهب فيه أو تعني فلز النحاس الذي نعرفه جميعا وهو فلز معروف بدرجة انصهاره العالية(١٠٨٣م) ودرجة غليانه الأعلى (٢٥٦٧م).

ومن الثابت علميا أن العناصر المعروفة لنا تتخلق في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي لنوى ذرات الهيدروجين فينتج عن ذلك نوى ذرات العناصر الأثقل بالتدريج حتى يتحول لب النجم إلى حديد. والتفاعل النووي قبل تكون ذرات الحديد هو تفاعل منتج للحرارة التي تصل إلى بلايين الدرجات المئوية، ولكن عملية الاندماج النووي المنتجة للحديد عملية مستهلكة للحرارة وبالتالي لطاقة النجم حتى تضطره إلى الانفجار مما يؤدي إلي تناثر العناصر التي تكونت بداخله بما فيها الحديد في صفحة السماء لتدخل هذه العناصر في مجال جاذبية أجرام تحتاج إليها بتقدير من الله تعالى. أما العناصر ذات النوى الأثقل من ذرة الحديد فتتخلق بإضافة اللبنات الأولية للمادة إلى نوى ذرات الحديد السابحة في صفحة السماء حتى تتكون بقية المائة وخمسة من العناصر المعروفة لنا، وهذه أيضا تنزل إلى جميع أجرام السماء بقدر معلوم. ولما كان عنصر النحاس أعلى من الحديد في كل من وزنه وعدده الذري (الوزن الذري لنظائر الحديد ٥٤،٥٦، ٥٧ والوزن الذري للنحاس٥٤٦, ٦٣ والعدد الذري للحديد٢٦ بينما العدد الذري للنحاس٢٩) وبناء على ذلك فإن عنصر النحاس يتخلق في صفحة السماء الدنيا باندماج نوى ذرات الحديد مع بعض اللبنات الأولية للمادة، وهذا يجعل صفحة السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة ومنها النحاس.

هذه الملاحظة تشير إلي أن لفظة نحاس في الآية الكريمة تعني فلز النحاس، لأن التأويل هنا لا داعي له على الإطلاق، فالنحاس وهو منصهر وتغلي قطراته في صفحة السماء يعد عقابا رادعا لكل محاولة إنسية أو جنية لاختراق أقطار السماوات والأرض.

وقد اتصل بي أخ كريم هو الدكتور عبدالله الشهابي وأخبرني بأنه زار معرض الفضاء والطيران في مدينة «واشنطن دي سي» الذي يعرض نماذج الطائرات من بداياتها الأولى إلى أحدثها، كما يعرض نماذج لمركبات الفضاء، وفي المعرض شاهد قطاعًا عرضيًا في كبسولة «أبولو» وأذهله أن يرى على سطحها خطوطًا طولية عديدة غائرة في جسم الكبسولة ومليئة بكربونات النحاس (جنزار النحاس) وقد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلى المسؤول العلمي عن تلك الصالة وسأله: هل السبيكة التي صنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس؟ فنفى ذلك نفيًا قاطعًا، فأشار إلى جنزار النحاس على جسم الكبسولة وسأله: من أين جاء هذا؟ فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء التي تضرب جسم الكبسولة طوال حركتها صعودًا وهبوطًا من السماء، وحينما تعود إلى الأرض وتمر بطبقات بها الرطوبة وثاني أكسيد الكربون فإن هذه الذرات النحاسية التي لصقت بجسم الكبسولة تتحول بالتدريج إلى جنزار النحاس. ويقول الدكتور الشهابي إنه على الفور تراءت أمام أنظاره الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

هذه الملاحظة أكدت لي ما ناديت به طويلا بأن لفظة نحاس في الآية تعني فلز النحاس ولا تحتاج إلى أدنى تأويل. فسبحان الذي أنزل هذه الآيات الكريمة من قبل ١٤٠٠ من السنين وحفظها لنا في كتابه الكريم على مدى ١٤ قرنا أو يزيد لتظهر في زماننا زمان رحلات الفضاء برهانا ماديا ملموسا على أن هذا القرآن الكريم هو كلام الله الخالق وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

---

* البحث الأصلي بعنوان: «النفاذ من أقطار السموات والأرض»، وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

Lord said to the angels: <I will create a vicegerent on earth...´» (Qur´an, 2:30)

As a representative of God on earth, we are given a very great responsibility. It is a trust so heavy that even the mountains rejected it. Allah tells us in the Qur´an: «We did indeed offer the trust to the Heavens and the Earth and the mountains; but they refused to undertake it, being afraid thereof: but man undertook it; he was indeed unjust and foolish.» (Qur´an, 33:72)

As believers, we should never lose sight of this responsibility. It is the fulfillment of that mission that transforms us from <asfala safileen´ - the lowest of the low (Qur´an, 95:5), into <khaira ummatin ukhrijat linnaas´ - the best of people arisen for humankind. (Qur´an, 3:110)

But how can we be that «best of people»? Allah describes how in His book: «Ye are the best of peoples, risen up for mankind, commanding what is right, forbidding what is evil, and believing in Allah... « (Qur´an, 3:110).

The essence of that struggle is to believe, to fight for Truth and to strive against evil. And as soon as we give up that noble struggle, we will become among those people who Allah describes in surat Al-Asr as being in an utter state of loss. Allah also describes the ones who will be saved from that state: «Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy.» (Qur´an, 103:3)

And, so, if we continue to abandon this greater mission and purpose, we will have transformed the perfect vision of existence into nothing more than a collection of dots.

---

* *Yasmin Mogahed is a free lance writer. She holds a B.S. in Psychology and a Masters in Journalism and Mass Communications. Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. Article Ref: Ik1106-4713*

Are We Missing The Point of Islam?

*By: Yasmin Mogahed**

To some, a Monet is only a collection of dots. To others, it is a perfect masterpiece. To some, Islam is nothing but a code of rules and regulations. But, to those who understand, it is a perfect vision of life.

As Muslims, we often focus so much on Islam´s dos and don´ts that we miss the bigger picture. Islam came to perfect our manners, and yet we are willing to scream and shout to win an argument about zabiha meat. Islam came to build our bond with our Creator, and while we wear our hijabs and kufis, we delay our prayers.

Islam came to establish a community of believers, but while we decorate our masjids with gold and silver, our prayer rows remain empty. Islam came to teach us about God, and despite wearing His words on our necklaces and decorating our houses with them, when those verses are recited to us, our hearts remain unmoved and our lives unchanged.

And Islam came to make us one brotherhood, yet we divide ourselves and alienate one another over issues like moon sighting and voting.

This is not to say, of course, that the dos and don:ts in Islam are not important. They are crucial. The problem is that we have forgotten what they stand for. For example, the wearing of Islamic dress should never be minimized. But we have forgotten that that hijab and that beard are only symbols of our greater devotion to God. For us to wear that hijab and that beard while it has no bearing on our character means we have missed the point.

If we spend extensive amount of recourses in decorating our masjids but then use that masjid only to display status and win arguments, we have lost its intended purpose. And if we have memorized every haram and halal ingredient of facial soap, but we own businesses that are based on interest and sell alcohol, have we not made a mockery of Allah´s deen?

That deen is what transforms humanity from the lowest of the low to the representatives of God on earth. The Qur´an tells us: «Behold, thy

الران والطابع والخاتم والقفل

ع.د. محمد فرشوخ

دخل الطلاب إلى المجلس فوجدوا الحكيم قد سبقهم إليه جالساً مطرقاً مغمضاً عينيه كأنه مستغرق في عالم آخر؛ وما أن أحس بحركتنا حتى اعتدل في مقعده ونظر إلينا مبتسماً متفحصاً متفقداً مردداً: « ثبتكم الله ثبتكم الله..».

استفتح كالعادة بالاستعاذة والبسملة والحمد وبالتبرؤ من الحول والقوة وبالالتجاء إلى حول الله وقوته، ثم السلام على الحاضرين داعياً لهم بدوام الإيمان والعفو والعافية؛ ثم قرأ بعضاً من كلام الله تعالى من سورة الزمر، فقال:

﴿ *بسم الله الرحمن الرحيم، قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* ﴾. ثم قال:

لا ينبغي أن نتوقف في القراءة عند هذه الآية بل نتابع كي نفهم شرط التوبة: ﴿ *وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ* ﴾.

وبدأ يعرض فكرته متسائلاً: إلى أي حد يمكن للمرء أن يتمادى بكفره وغفلته وضلاله؟ وهل أوتي أحدٌ علماً يعرف من خلاله أن جراب معاصيه قد امتلأ وأن صاع شرّه قد طف وأن باب توبته قد أقفل أو يكاد؟ تعالوا نبحث في كتاب الله عزّ وجلّ، عن إجابة شافية لمن طمع في عفو الله ورحمته بعد غفلة ومعصية. فأي الغفلات يغفر وأي المعاصي يمحى؟

نعم إن الله غفور رحيم، ويقبل التوبة عن عباده، ويغفر لمن يشاء، وما منا من أحد أعطي الحق في تأخير نزول رحمته أو منع حصول مغفرته، وهو حق خصّ المولى تعالى به نفسه دون سواه، لكنه وضع للمتمادين حدوداً وللعاصين قانونا.

فاللمم وهي المعاصي الصغيرة تمحى بالاعتذار من الخلق وبالاستغفار من الخالق، ويلتئم جرحها بإقامة الصلاة لقوله تعالى: ﴿ *أقم الصلاة إن الحسنات يذهبن السيئات* ﴾. ومن خاف على نفسه من تكرار المعصية فعليه بمداومة الذكر والصلاة، والله تعالى يقول: ﴿ *إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر* ﴾.

أما أول المصائب فهو عند توالي المعاصي وإذا بالقلب يتلوث سطحه شيئاً فشيئاً حتى يغلفه السواد، وفي الحديث الشريف: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿ *كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* ﴾».(من سورة المطففين)؛ وبعض النكت السوداء قد يمحى وبعضها يبقى أثره إلى يوم القيامة، ومما يبقى اليمين الكاذبة التي تقتطع حق امرىء مسلم بغير حق، ومنها أيضاً من انساق في الفتن حين تعرض ولم ينكرها. وكلما زادت الآثام زاد الران حتى يغطي السواد القلب كله فيحجب عن الله ومن ذلك قوله تعالى في سياق الآية السابقة: ﴿ *كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون* ﴾.

ورب إصرار على هوىً استولى على القلب فأسره فأودى بصاحبه إلى الطبع وهو ثاني المصائب، ويطبع الله على قلب العبد إذا أصر على المعصية أو تهاون باداء الطاعة، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

« مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ « . فيهمل صلاة الجمعة بعد ذلك وينشغل عنها فاقداً الشعور بأهميتها وفائدتها؛ والطابع أشد من الران وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : « اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ « . فالطابع يطبعه الله تعالى على قلبٍ كل متكبر جبار، وظلوم كفار، ومجتريء على حرمات الله بالمعاصي كفراً وجهارا، وإنكارا لوجود الله وإصرارا ، قال صلى الله عليه وسلم: «الطابع معلق بقائمة عرش الله ، فإذا انتُهكت الحرمة اجتُرئ على الرب ، بعث الله الطابع ، فيطبع على قلبه ، فلا يعقل بعد ذلك شيئا « . قال الله تعالى في سورة محمد: ﴿ ***وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ*** ﴾ .

وإذا طبع على قلب العبد ضاق بالإيمان ذرعا، وود لو لم يسمع الموعظة، وفي أمثاله قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ ***وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ*** ﴾ .

فتراه على عكس ما تتوقع منه يضيق بمجالسة الصالحين ويرتاح إلى العاصين ويتغنى بحجج الكافرين، إذ انشرح صدره للكفر، وفي مثله قال تعالى في سورة النحل:﴿ ***مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ*** ﴾ .

وممن يطبع الله على قلوبهم، الذين عهد الله إليهم بأمانة الدين فضلوا وأضلوا، واسمعوا قوله تعالى في سورة النساء دفاعاً عن بعض الأنبياء وعن السيدة مريم عليهم السلام: ﴿ ***فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ، وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا*** ﴾ .

ويطبع الله تعالى كذلك على قلب الذي يكفر بعد الإيمان، فقد سنحت له من الدهر فرصة ثمينة فنبذها وارتد عن الغالي إلى الرخيص، قال الله تعالى عنه في سورة المنافقون: ﴿ ***ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ*** ﴾ .

وإذا كان الران قابلاً للإزالة بالتوبة وباجتناب المعاصي، فإن الطابع صار أصعب زوالاً لأن صاحبه غاب عن الوعي وانساق في الضلال واستحب العمى على النور. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (القلب بمنزلة الكف، فإذا أذنب ينقبض، ثم يذنب فينقبض حتى يجتمع، فإذا اجتمع طبع عليه، فإذا سمع خيرا دخل في أذنيه حتى يأتي القلب فلا يجد منه مدخلا).

والمعصية لا تأتي إلا بأختها أو بأكبر منها، فينجرف العبد في الموبقات ويتمادى بارتكاب المعاصي ويجتريء على الخالق القهار، لا ينافق مرة بل مرد على النفاق واعتاد، ليبلغ المصيبة الأكبر وهي الخاتم، فيختم الله على قلبه وعلى سمعه وبصره، بحيث يؤول إلى سوء المصير ويكتب على نفسه عذاب السعير، قال تعالى عنهم في أوائل سورة البقرة: ﴿ ***إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*** ﴾ .

وإذا ما ختم على قلوبهم لن يهتدوا بعد ذلك أبدا، قال عزّ وجلّ في سورة الكهف: ﴿ ***وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا*** ﴾ .

وآخر الختم القفل ومن معاني القفل في اللغة الإغلاق وما لا يرجى منه خير، وكأن العاصي كتب نهايته على نفسه بنفسه. يقول الله تعالى في سورة

محمد : ﴿ *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ، إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ* ﴾ . فصار بينهم وبين الهدى عداوة ونفور، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ *وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا* ﴾ .

قال مجاهد: (الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الأقفال ، والأقفال أشد ذلك) . بحيث صارت الناس أقرب إلى البهائم في طبائعها منها إلى البشر، قال الله تعالى عن أولئك في سورة الأعراف: ﴿ *وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ* ﴾ .

فتتوقف بوادر الإيمان وتنقطع آمال الهدى ولا ينفع بعد ذلك كلام ولا علم ولا عمل، ولا يتبقى للعبد إلا رحمة تنزل من الله تعالى تفضلاً ونعمةً كما قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿ *أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون* ﴾ .

فيا إخوتي، أول الانزلاق في المعاصي والآثام ذنب ربما كان صغيرا أو اعتدنا عليه فألفناه فجرنا إلى المهالك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بذلك ويقول:» ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنا توابا، نسيا، إذا ذكِّر ذكَر». ولا يغتر أحدنا بعبادته بل يتعلق بفضل الله ورحمته وليبق كل منا على حذر واسمعوا من سورة النور: ﴿ *رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ* ﴾ . ثم رفع الحكيم يديه داعيا: (اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا إلى محبتك وعقولنا إلى فهم آياتك وأجسادنا إلى طاعتك وطاعة رسولك). واختتم الجلسة.

www.fakhourymotors.com

TRULY YOURS®

If you are one of a kind your car shall be to. Let us tailor for you exceptional tuning that propels your car into a league of its own.

Equally powerful and noble in design, your car is tuly unforgettable, captivating, unparalleled. With the wide range of possibilities and your personal touch you can make your car as individual and unique as you are. A car that is truly yours.

LSD Doors Exclusive Dealership.

FAKHOURY MOTORS

LUXURY THAT MOVES®

BEIRUT-LEBANON

FAKHOURY MOTORS BUILDING
VERDUN, BEIRUT LEBANON
TEL. +961 1 791333

DUBAI-UAE

ALSABEEH CAR COMPLEX
ALKHOOR, DUBAI UAE
TEL. +971 50 1415400

BERLIN-GERMANY

TEL. +49 1635000814

E. INFO@FAKHOURYMOTORS.COM

Arts,Sciences and Technology University in Lebanon

FACULTY OF BUSINESS

- Accounting
- Banking & Finance
- Business Computer[MIS]
- Economics
- Events Management
- Hospitality Management
- Management
- Marketing & Advertising
- Management of Information Technology
- Travels Tourism

FACULTY OF SCIENCES & FINE ARTS

- Acturial Mathematics
- Biology
- Computer Science
- Copmuter Communication
- Computer & Communication Engineering
- Chemistry
- Enviromental Science
- Graphic Design
- Interior Design
- Mathematics
- Physics
- Statistics

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES

- Anthropology
- Arabic Literature
- Communication Arts
- English Literature
- Performing Arts
- Religious Studies
- Sociology
- Teaching Diploma

Campus
Beirut: Commodore street, Hamra, Beirut - Tel: +961 1 343222
Jadra: Sibline street, Jadra South Lebanon Tel: +961 7 972222

Study Center
Sin El Fil: 01 512330 - Chtoura: 08 545430 - Kalamoun: 06 401884 - Kaslik: 09211072

P.O.Box:113-7504 Beirut-Lebanon
info@aul.edu.lb www.aul.edu.lb

خلص الأجرة MAZRAA لبنان LIBAN P.P.

ب ٣٧١ P. 371

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

بيروت، لبنان

جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع
سنتر مونتي مارينا-بلوك C ط٣
هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ – فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+
بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com